دار روافد للنشر الإلكتروني

إذن هى الحرب

سامح على

قصص

نوع العمل: مجموعة قصصية

اسم العمل: إذن هى الحرب

اسم المؤلف: سامح على

الناشر: حروف منثورة للنشر الإليكترونى

الطبعة: الأولى مارس 2016

تصميم الغلاف: مروان محمد

تدقيق لغوى: علياء عبد الغنى

تفضلوا بزيارة موقعنا حروف منثورة للنشر الإليكترونى من خلال الضغط على الرابط التالى:

http://herufmansoura2011.wix.com/ebook

كما يمكنكم متابعتنا من خلال صفحتنا الرسمية على الفيس بوك من خلال الضغط على الرابط التالى:

http://facebook.com/herufmansoura

كما يمكنكم مراسلاتنا بأعمالكم على الإيميل التالى:

Herufmansoura2011@gmail.com

دار حروف منثورة هي دار نشر إلكترونية لخدمات النشر الالكتروني ولا تتحمل أي مسئولية تجاه المحتوى الذي يتحمل مسئوليته الكاتب وحده فقط وله حق استغلاله كيفما يشاء

مجموعة قصصية

إذن هى الحرب

سامح على

الفهرس

نصف الحقيقة والوهم كله..... 7
انتظـــار 17
عطر الليمون..... 21
حبيبتى المقدسة 27
إبتسـم .. الصورة تطلع ....؟..... 32
النجـوم..... 36
الحب الموازى 41
بشـــــرط 45
كائـن حـى 54
ما لا طاقة لى به..... 57
مثلـى..... 61
ليس لـها مثل..... 70
أول مرة 82
الخطيـب 85
شِئْتِ أم أبْيِت..... 93

عنصر مشع 100
صـورة 107
إذن هى الحرب 112
طفل فى جلباب 121
السـراب 125
تسعيناتى 133
تسعيناتى أول 133
تسعيناتى ثانى 138
تسعيناتى ثالث 144
تسعيناتى رابع 149
السيرة الذاتية للكاتب 157

نصف الحقيقة والوهم كله

دق "توفيق" على المكتب بكلتا يديه صارخاً:

- كيف يجرؤ ذلك الموظف المهمل على إضاعة مناقصة ضخمة كهذه من يدى ..!

رد "رمزى" طبيبه النفسى الذى كان جالساً أمام صديقه محاولاً تهدئة أعصابه قائلاً:

- لا تفعل ذلك بنفسك يا "توفيق" أعصابك لا تحتمل هذا الضغط وكما يقولون .. تأتى خيرها فى غيرها

رد توفيق بعصبية مثيرة : الفرصة لا تأتى إلا مرة واحدة وأضاعها ذلك الغبى.

رمزى: لا يا "توفيق" أنت الذى أضعت فرصتك بثورتك الدائمة أمام الجميع مما قد ينتج عنه خسارة نفسك وكل ما تملك.

توفيق: لن يحدث هذا معى ولن تلحقنى الخسارة بعد اليوم.

ردد رمزى : نعم يا صديقى .. ربما ..

قالها وفى نفسه إحساس غامض وإصرار مخيف

****

أصر "رمزى" على قيادة سيارة "توفيق" نظراً للحالة الثورية التى ما زالت تكتنف صديقه .. وفى الطريق قاد رمزى السيارة ويزفر فى ضيق ويطلق النفير معترضاً من حين لآخر مما جعل "توفيق" يخرج من حالته العصيبة إلى حالة من الدهشة لأمر "رمزى" فقال فى تعجب :

- لماذا تبطء هكذا؟! ..الطريق أمامك خالى وأنت تطلق النفير باستمرار وكأنك تصارع الزحام ....

التفت اليه رمزى فى دهشة حقيقية وما زال يقود السيارة ببطء يشبه التوقف التام مكرراً عبارة صديقه فى حيرة :

- كأنى أصارع الزحام !! .. ماذا دهاك يا رجل إننا فى قلب الزحام بالفعل.

توفيق : هل تمزح .. ليس لى طاقة لهذه المهاترات السخيفة.

رمزى : أى مهاترات!! .. من قال أننى أسخر منك ؟ .. إنها الحقيقة يا "توفيق" إننا وسط الزحام بل فى أوج الزحام بالرغم من هذه الساعة المتأخرة .. ألا ترى هذا الجمع هناك!!

قالها وهو يبسط يده للأمام فى ثقة ورصانة لا تتناسب مع "توفيق" مما جعل الأخير يحدق فى الفضاء الذى أمامه

لم يكن أمامه شيئاً بالفعل .. مجرد طريق ممتد فى ليل كاحل .. فإلتفت فى عصبية هائلة الى "رمزى" صائحاً :

- الوقت ليس مناسب لألاعيبك .. إننى متعب للغاية ولا أريد المزيد من الخيالات.

صاح هذه المرة "رمزى" وهو يتوقف بالسيارة جانباً : يا إلهى

"توفيق" فى قلق عصبى : ماذا هناك

رمزى: إنك .. إنك ..

توفيق : ماذا .. إننى ماذا ؟!

رمزى : إنك تهذى

رفع توفيق حاجبيه مدهوشا : أهذى!!!

رمزى : نعم .. إنك لا ترى ما نحن نراه.. أليس كذلك؟؟

توفيق : أنتم؟ .. أنتم من ..؟

رمزى : أنت لاترى إلا أشياء تريد أن تراها

عقد توفيق حاجبيه فى غيظ مطالباً بمزيد من التوضيح

فاستطرد "رمزى" مفسراً : أنت تعيش فى عالم له ظروف أخرى تحاول عن طريقه أن تنتقل من حالتك العصبية التى لم تنجح فى التخلص منها إلى حالة هادئة تتمناها.

حدق توفيق لصديقه فى بلاهة وهو يتمتم بصوت ملىء بالغرابة :

- ماذا تقول؟!

اعتدل رمزى وأمسك كتف "توفيق" بقوة مركزا عينيه عليه محاولاً أن يهدىء من روعه قائلاً:

- لا تقلق . أخبرنى هل ترى أى شىء عدا الطريق المظلم أمامك؟

رد توفيق وهو يعيد النظر فى الطريق مرة أخرى : لاشىء غير هذا

رمزى : حسناً عليك أن تسمعنى وانت هادئاً تماماً ثم إزدرد لعابه متابعاً :

- الذى تراه الآن هو طريق مظلم بالرغم من كل أنوار السيارات المتوقفة .. هذا إنطباع داخلك نتيجة الخسارة التى لحقت بك أو النجاح الذى لم تظفر به .. فى نفس الوقت عوضاً عن ذلك إستطاع عقلك الباطن أن يمحى صورة الزحام والحادثة التى تسببت فى إيقاف الطريق هكذا .. فأنت لا تريد أن ترى شىء يذكرك بالخسارة

.. تريد فقط النجاح كما تعودت دائماً .. لذا سأجرى لك تجربة بسيطة تثبت ذلك .

فأخرج ورقة وقلم أعطاهم لـ"توفيق" الذى مازال محدقاً بنظرة البلاهة وقد إلتفت إلى الورقة التى بيده وهو يقول بصوت مرتجف : ماذا أفعل؟

رمزى : أريدك أن تزيل هذه المخالفة بتوقيعك

توفيق : مخالفة!! .. إنها ورقة بيضاء!!

ابتسم رمزى قائلاً : إنها ليست كذلك.

وأشار للورقة متابعاً : إنها ورقة غرامة دفعتها لمخالفة شغل الطريق بالسيارة .. وأنت لا تريد أن تراها لانه تتعلق بالخسارة أيضاً.

نظر "توفيق" مرة أخرى إلى الورقة بدهشة ثم وضع سن القلم وزيل توقيعه المعروف وقد رأى هذه المرة توقيعه بالفعل .. فأخذ رمزى الورقة ونظر اليها وهو يقول : إنك الآن ترى التوقيع أليس كذلك؟؟

رد توفيق وهو يجاهد ليكون هادئاً : بلي!

رمزى : ذلك لأنك دائماً توقع صفقاتك الناجحة بهذا التوقيع.

ثم تابع قائلاً : عليك الآن أن تذهب فى أجازة لمدة أسبوع كامل وتقضيها بإستراحتك بالمريوطية لتهدأ أعصابك تماماً وذلك بلا أى إتصالات تتعلق بالعمل وسأكتب لك هذا الدواء ليساعدك على النوم الهادىء ولا تقلق على الشركة سوف أتابعها بنفسى بعد أن أقلك إلى المريوطية الآن.

أجاب "توفيق" وهو يسند رأسه على الكرسى قائلاً : أشكرك يا "رمزى" .. أشكرك يا صديقى .. إننى بالفعل أحتاج الى نوماً طويلاً هادئاً.

أدار رمزى محرك السيارة وأنطلق فى الطريق الذى أصبح خاليا قليلاً بعد أن أعلن أن الحادثة قد أزيل أثارها .. وأسبل "توفيق" جفنيه للنوم

****

دلف "توفيق" لمكتبه بالشركة وهو يلقى التحية على كل من يقابله بإبتسامة هادئة غير معتادة بعد أن قضى أجازته التى ساعدته على الانتعاش والعودة الى العمل بقوة .. وإستقبله "رمزى" الذى كان يجلس خلف المكتب بإبتسامة واسعة وهو يصافحه بحرارة قائلاً : حمداً لله على سلامتك يا "توفيق"

توفيق : شكرا لك يا "رمزى" فالفضل الأول يعود لك بعد الله سبحانه وتعالى وعاد "رمزى" إلى مكانه خلف المكتب .. بينما إتخد "توفيق" المقعد المقابل وهو يقول :

- كيف حال العمل تحت إمرتك يا "رمزى"؟

رد رمزى ولم تفارقه إبتسامته : وماذا كنت تتوقع ؟ إنها شركتى

ضحك "توفيق" مشيراً بيده مؤيداً :

- بالطبع يا صديقى .. بالطبع .. ولكن لا تعتاد كثيراً هذا الوضع فهو مؤقتاً

رد "رمزى" بشكل هادىء مستفز مقاطعاً ضحكة "توفيق" : بل تقصد للأبد.

توقف رجل الأعمال عن الضحك وهو يلتفت الى "رمزى" الذى قال عبارته الاخيرة بصرامة ملقياً بنظرته الثابتة على توفيق الذى تسائل فى قلق : معذرة .. ماذا قلت؟

رمزى : إنها شركتى بالفعل ..

ثم تابع واقفاً : وأنت وقعت لى بذلك

توفيق : لا أفهم شيئاً .. مما تقـ.....

قاطعه رمزى بإشاره من يده قائلاً : لا تتعجل .. عليك أن تصبر كما صبرت طوال هذه الأعوام الماضية.

ثم توقف عن الكلام قبل أن يستطرد وكأنه يسترجع جزء ليس بالقصير من ماضيه متابعاً : - منذ أن كنا أصدقاء فى المدرسة كان ترتيبك الأول وأنا التالى بالقائمة لا أعرف لماذا .. فقط تتربع على القمة بلا نقاش .. وأنا الوصيف الذى لا يقل عن مليكه فى شىء وأستمر تفوقك وخطفت كل الأضواء إلى أن قررت أن تدخل كلية التجارة وأعتقدت أنها نقطة تحول .. حينها إلتحقت أنا بكلية الطب .. ولكن .. لم يتغير شىء .. أثبت أنك ذا شأن عنى عندما فضلتك "مديحة" جارتنا عنى بالرغم من حبى الذى لم أختزنه لغيرها وتزوجتها وسافرت .. ولكنك عدت سريعاً لتنشىء مشاريعك العملاقة عقب وفاة والدك الثرى.

ثم أكمل وهو يسير فى الحجرة :

- **منذ ذلك الحين قررت أن أجبر حظى العسر على طاعتى .. وأن أجعل من ثروتك وقوتك وثورتك الدائمة نقطة ضعف حقيقية تنقلب ضدك .. وبالفعل وقعت على أول إنتصار لى بنفسك.**

قال "توفيق" بعد ان إستمع لكل هذا الحديث وهو جالس بلا حراك مذهولاً : ماذا تقصد؟

رمزى : عجباً ألا تذكر الورقة البيضاء يا صديقى؟ كان بمثابة عقد تنازل عن شركاتك وعقد تحالف على النجاح للأبد.

توقف قلب "توفيق" عن النبض عندما أدرك الحقيقة القائمة منذ البداية على الوهم،

فى نفس اللحظة إنطلقت ضحكة "رمزى" المنتصرة الممتزجة بضحكة أخرى ..

.. ضحكة الشيطان

رجوع للفهرس

انتظـــار

دفعت قيمة بوكيه الزهور .. فابتسم صاحب المحل إثر فرحتى بالبوكيه فى يدى .. وربت على كتفى سعيداً بفرحتى .. مما غرز بى الشك أننى فى محل ألعاب أطفال أقرب من محل للزهور .. فتطلعت إلى المحل بعد خروجى كمزيد من الثقة بنفسى ..

فاليوم ذكرى زواجى الأول.. وأستعد لمفاجأة زوجتى الحبيبة .. بلقاء يعشقه المحبون .. ولكى لا ألفت انتباهها .. أثرت مشكلة معها هذا الصباح لإجبارها على زيارة أحد أقاربى اليوم .. وبالطبع أبدت تذمرها ورفضها .. وذلك لاستعدادها سراً لليلة الأولى بعد عام من زواجنا .. وبناءً عليه أبديت غضبى منها وخرجت صافعا الباب خلفى .. بعد أن تعمدت ترك هاتفى الجوال بالمنزل .. وكان هذا الإجراء كى لا تمتلك الفرصة لتعتذر عن الميعاد المتفق عليه ..

وها أنا ذا انتظرها فى لهفة وشوق .. وبينما عيناى تتجولان بين الناس بحثاً عنها .. تذكرت بعض تفاصيل هذا العام بكل ما فيه من لحظات جميلة رائعة .. تذكرت عندما استقالت من عملها لتساندنى فى عملى .. وتنازلت عن كل حياتها وسافرت معى بعيداً .. وكيف عانت وتحملت عناء شهرين دون مأوى فى الغربة ما بين فندق لآخر ..

فى هذه الأثناء تصبب العرق منى وأنا انتظر صابراً متيقناً قدومها فى أى لحظة .. بالرغم من نظرات المارة ما بين المبتسمة والحاقدة والمتحسرة والساخرة .. إلا أننى لم أتراجع عن انتظارى الطويل محافظاً على تناسق الزهور فى يدى .. ومرت ساعة كاملة انتظر

- ما هذا الهراء السخيف .. كيف تجرؤ على تركى انتظر هكذا ؟! .. لا يمكن ان تكون نسيت أم عن عمد تناست؟ .. أم أن النوم غلبها كالعادة دون أدنى مسئولية .. أم قررت أخيراً ان تعصى أوامرى وتتمرد؟

قلتها فى نفسى ساخطاً .. وذهبت إلى أقرب هاتف واتصلت بها فوجدت هاتفها مغلق .. كما تركت هاتفى مغلق أيضاً .. زفرت فى ضيق شديد .. وعدت أدراجى للمنزل وأنا أتذكر كل التفاصيل الموجعة فى هذا العام .. تذكرت عنادها وجدالها الغير مبرر وتجاهلها لآرائى دوماً .. حتى طهوها الردىء ما زال مذاقه يقززنى .. وها هى تفسد علىّ أسعد لحظاتى .. فى الذكرى الأولى لزواجنا.

عدت للمنزل ولم أنسَ أن ألقى بالبوكيه الظريف فى أقرب صندوق قمامة .. وفتحت باب الشقة وقد عزمت على أن تكون الليلة هى الأسوأ فى حياتنا ..

ولم أكد أدلف من الباب حتى وجدتها فى انتظارى مبتسمة على ضوء الشموع الخافت .. وفى يدها باقة من الزهور .. واقتربت من أذنى تهمس :

- هل قلقت علىّ عندما تأخرت عن الميعاد ؟

سألت نفسى نفس السؤال .. فهو الاحتمال الوحيد الذى لم يطرأ بذهنى قط ..

احتمال أن أصابها سوء ما ..

فلم أجد رداً مناسباً ..

لذا .. طأطأت رأسى منها خجلاً ...

رجوع للفهرس

عطر الليمون

- خمسمائة وسبعون .. خمسمائة وثمانون .. خمسمائة وتسعون جنيهاً وخمس وسبعون قرشاً ..

أنهى الصراف إحصاء المرتب .. ثم أشار إلىّ للتوقيع بالدفتر المفتوح على مصراعيه أمامه .. وقعْت كما أشار وإستلمت معونتى الشهرية .. هى بالكاد معونة أربع أطفال وزوجة .. وموظف .. هو الماثل أمامكم.

إنسحبت من أمام مكتب الصراف وأنا أتمم على المبلغ مرة أخرى .. وإذا بى أصطدم بزميلى صائد الرواتب يعرض علىّ بضاعته بالتقسيط وكنت أكره طريقة هذا الرجل فى البيع فهو شديد الإلحاح وكثير المنتجات .. وهذه المرة كانت منتجاته عطور! .. وككل مرة أنفر منه .. ولكنه صمم على أن أكون إحدى ضحاياه هذا الشهر .. فأخذ يلوح ويطوح ويعلى ويقصى ويحكى قصص ألف ليلة وليلة وبسحر المطبيات يغوينى .. وكآخر محاولة منه أمطرنى بإحدى عطوره وأنا أحاول ان أحجبها عنى .. فأبتل المرتب الذى ما زلت أحمله بيدى برائحة الليمون النفاثة .. فأبعدته بخشونة وفظاظة فإنصرف متذمراً ساخطاً ..

ركضت خلف الحافلة العامة ولحقت بها والحمد لله .. وبعد مشقة معتادة أخذت أزاحم وأنطوى وأنفرد وأنزلق .. حتى إستقر بى المقام بين الأجساد المعروقة والأنفاس المخنوقة ... والـ ...

وتلك اليد الصغيرة التى تتسلل إلى جيبى .. أشعر بها .. ولكنى لا أقوى على الحراك من هذه الأكتاف التى تعتصرنى وتقيدنى .. فإنقبضت قليلاً ثم تحركت يميناً ويساراً ودفعت ما حولى بقوة .. ووضعت يدى فى جيبى .. وإذ بى لا أجد مرتبى .. مرتب الشهر

حرامى .. حرامى .. لقد سرقت .. إنتظر أيها السائق .. إنتظر .. مرتب الشهر قد سرق

ولا حياة لمن تنادى .. فقط بعض العيون الذاهلة الساخطة وغيرها المشفقة .. حاولت الإسراع خلف السارق الذى كان سريع الذوبان وسط الزحام .. ترجلت عن الحافلة أتلفت حولى كالمجنون فلم أجد غير المارة وحرارة الشمس تستعر الجباه وعلى وجهى علامات اليأس والسخط والضعف .. والخوف ..

نعم الخوف الذى قد يعتصرنى يوماً أعجز فيه عن توفير المأكل والملبس والعلاج وإيجار الشقة .. سأتكبد عناءً بعد عناء .. وأشقى ليلاً بعد نهار .. هروباً من هذا الغول .. الخوف ..

تفقدت ملابسى مرة أخرى لعله ينتهى الكابوس المفجع .. ولكن لا محالة .. تركت قدماى تقودانى فى هذه المتاهة وأوشك قرص الشمس على الإنكسار .. بعد انكسارى

لم أشعر بأقدامى إلا وهى تعلن إعيائها من حرارة الأسفلت التى ألهبت حذائى المنحول النعل من كثرة وجوب الطرقات والأرصفة وتفحص المارة والوجوه فى هذا الكوكب العجيب .. وقبل حلول منتصف الليل بلغ منى التعب عنانه.. نظرت حولى فلم أجد أمامى غير ميدان "محطة مصر" ملتقى المشرق والمغرب .. وقد إنقضى المهرجان اليومى .. الذى أخذ يتلاشى ببطء وأنا على وشك أن أتلاشى معه

توجهت الى إحدى الحافلات العامة والتى كانت خالية تقريباً وتركت جسدى ينهار على إحدى المقاعد .. لم أكن قد جلست على إحداها منذ زمن بعيد .. فشعرت براحة كبيرة تحولت بالتدريج إلى نشوة وإنتعاش وكأنى أتنفس عطر ما .. مثل عطر الليمون .. إنطلقت منى تنهيدة إرتياح .. وزادت الرائحة وإنتشرت وتوغلت فى أنفى وإخترقت شراييني فى سرعة لتشعل خلايا عقلى لتنطلق أجراس الخطر .. إنها الرائحة .. رائحة العطر .. عطر الليمون

صحوت من غفوتى تلفت حولى ونهضت بين المقاعد أقتفى أثر تلك الرائحة حتى وصلت إلى نهاية الرواق فوجدت ذلك الطفل الأغبر يجلس منطوياً على نفسه ويحرص على إخفاء عمل ما يؤديه فى سرية .. فلم يشعر بى عندما إختلست النظر إلى ما فى يديه .. فإذا بى أتفاجأ بهذا المبلغ الذى يحصيه وبهذه الرائحة .. إنه المرتب

مرتبى .. مالى .. فليساعدنى أحدكم .. مرتبى المسروق

كانت صيحاتى المودية هى المفاجأة الكبرى للجميع .. حتى لنفسى .. فقد أطلقت العنان لوجدانى ولقبضتا يدى تطبقان على المال وعلى الطفل فى آن واحد

وحاصرنا جمع قليل من الناس فى نظرات شك وإرتياب .. فقاموا بإستجواب الطفل المرتبك الذى سرعان ما تمالك نفسه ورد فى خشونة وجرأة لم أتوقعها

ما بالكم .. أتصدقون ذلك المخبول!! .. ذلك المال هو حصيلة عملى كبائع متجول بين الحافلات والمقاهى.

كان جوابه سريعاً لا يصيبه أدنى شك .. إلا أنا .. فقبضت على المال بقوة أكثر قائلاً فى إصرار:

وهذا العطر الذى يفوح منه .. كيف تحصل على مبلغ كهذا من مختلف الزبائن وهو مغدق بالكامل بعطر الليمون؟

كان سؤالى وجيهاً ولكنى فوجئت مرة أخرى برد أكثر جراءة وصلابة من الطفل السليط :

كان مع أحد أصدقائى عطراً منذ قليل وأثناء مزاحنا سكب العطر على المال

كاد الجميع أن يقتنعوا بجواب الطفل حتى هتفت فجأة فى وجهه مستفسراً:

وكم يبلغ قيمة هذا المال أيها الذكى؟ ..

تمتم الطفل قليلاً قبل أن يدعى أنه لم يحصيه بعد

فأجبت بدلاً منه : خمسمائة وتسعون جنيهاً وخمس وسبعون قرشاً

توتر الطفل قليلاً قبل أن يستحوذ أحد الحضور على المال ويقوم بإحصاءه .. وعندما ذكر الرقم الذى ذكرته .. أيقن الجميع الحقيقة ..

وأيقنت أنه عسى أن تكرهوا شيئاً .. هو خيراً لكم ...

رجوع للفهرس

حبيبتى المقدسة

انفرجت قرتا عينى إثر تسلل اشعة الشمس الذهبية على وجهى .. ارتسمت على شفتى ابتسامة عريضة لهذا اليوم .. يوم الموعد ..

انتعشت سريعا وأديت مهامى اليومية المعتادة وعندما تلونت السماء بعلامات الغروب استعديت للموعد وانطلقت مسرعا متلهفا إلى الكافيتريا التى سألاقى فيها حبيبتى .. ولاقيتها فى أبهى أناقتها ورونقها .. وصافحت أصاعبها الرقيقة وجلست مشدوها بها وتركت العنان لوجدانى يحرك ويسكن لسانى :

- أراكِ اليوم وكأنى لم أرَكِ من قبل .. لا أعرف هل العيب فى ذاكرتى أم أن ذاكرتى أدنى من أن تحتوى بعضاً من أوصافك .. أم أن احمرار وجنتيكِ يشعل النار فى خلايا عقلى .. ألا تستقر ملامحك كى أشدو بشعر يناسبك!! .. وإن يعجز معجم الأوصاف عند معجزتك .. ولولا أن قلبى يسع بالكاد لحبيبتى المقدسة .. لقدستك.

هنا فقط انتقلبت تعبيرات وجهها من الخجل والاستحسان إلى التعجب والاستفسار وتسائلت فى قلق عن المقدسة ؟

فأشحت بوجهى عنها شاردا نحو الأفق الدامس الظلام مجيباً :

- هى حبيبتى وحبيبة كل من يحيا على وجه هذه البسيطة .. ويبذل روحه وكل ما يملك كى يكون موته عند أقدامها .. فتحنو عليه بأناملها راضية.

تسائلت فى غيرة وحيرة :

- من هى؟؟ .. هل هى بالشهرة حتى تفقد لب كل هؤلاء ؟

فأجبت بتنهيدة شوق :

- أفقدت لبى وقلبى .. فلم يعد لأحلامى مكان غيرها تراودنى .. تداعبنى فى غفواتى .. تصحبنى فى شرودى وآلامى وعلاتى .. ويا لها من صحبة أنعم الله بها على أمثالى.

سألت هذه المرة فى صبر وشك على النفاذ :

- إذن هى على قدر من الجمال والسحر الكافى لتستولى على قلوب أعتى ملوك هذه الأرض .. هل تعتقد انها تُكن لك فى المقابل كل هذا القدر من الحب ؟

قالتها فى استنكار فلم أبالى وتابعت :

- أهون لها .. ويهون لها كل من كان .. ولا ننتظر منها إلا لوم وعتاب .. عن تقصيرنا فى الرغبة إلى أحضانها.

قطبت حاجبيها فى غضب متسائلة :

- كفى .. أخبرنى .. من هى السيدة كاملة الأوصاف ؟؟

نظرت حولى فى حرص ثم كشفت جزءاً من سترتى ليتضح لها الحقيقة

فتراجعت إلى الخلف فى ذهول كاتمة صرختها بيدها :

- ما هذا ؟! .. حزام متفجرات!! ....

- نعم .. من أجلها أعددت نفسى كهدية لأكون على حبها شهيداً .. إلى اليوم الذى تتحرر فيه من أسرها فيكون لى سكن بها .. وذكرى بين أرجائها .. بجوار كل دم سال فى سبيلها .

رأيت دمعة تتسلل من عينيها وهى تقول :

- هل حان الوقت لتتخلى عنى و.....

قاطعت عبارتها :

- لن أتخلى عنكِ .. فهى عقيدتى .. وأنتِ عشق هذا القلب الذى سيظل ينبض إلى لحظة فراقك .. ولقائها

رفعت أهدابها المبتلة بندى عينيها الحزينة وأنا أتامل للمرة الأخيرة شفتاها اللتا تحركتا فى تردد:

- أريد أن أذهب معك

إبتسمت لها فى حنان وأنا أزيح عن وجنتيها دموعها مجيباً :

- أنتِ معى وأنا معكِ .. فى عشقها نشترك .. وفى محرابها نصلى معاً .. وفى سبيلها نحيا ونموت لتكون لنا قدس نمتلك .. ويرسو بها المعتمر من الأدنى إلى الأقصى مدعو ومنتظر .. على أبوابها الشهداء تحتضن ..

فمن أجلك حبيبتى .. أقدم روحى قربانَ حبى لها ..

.. لحبيبتى المقدسة

رجوع للفهرس

إبتسم .. الصورة تطلع ....؟

بعد يومٍ طويلٍ شاق خرجت من عملى فى ليلةٍ هادئةٍ قاصداً منزلى، وقد ضاقت بى السبل ونضبت منى أفكارى .. لم أجد فى ذلك مبرراً كافياً لهذا الوجه الضيق الذى أرتديه طيلة الوقت .. حاولت أتذكر آخر مرة إبتسمت فيها فلم تسعفنى ذاكرتى .. فملكنى الضيق أكثر .. إلا إننى تداركت سريعاً موقفى .. وقررت أن أبتسم .. وأن أتذكر تاريخ تلك الإبتسامة وأدونها فى ذاكرتى لعلى أقصها لأبنائى لاحقاً .."التاريخ الذى إبتسمت به"

لاحظت وأنا أتقمص هذه الإبتسامة أن الناس فى طريقهم يرمقوننى بنظرات الإستنكار .. وأحيانا أخرى الشفقة .. وأحياناً كثيرة الإشمئزاز .. مما جعلنى أنظر لهندامى ولحذائى الذى لم تظهر عليه علامات الشيخوخة بعد .. فترجلت عن نفسى لأتطلع لهذه الوجوه العبوسة مرة أخرى .. ومازالت إبتسامتى لم تفارقنى بعد،

أشرت لسيارة ميكروباص وجلست بالأريكة الأخيرة كالعادة .. وأصيب الراكب بجوارى ببعض الريبة من إبتسامتى وكأنى كائن رطب من القطب الشمالى، جئت أسخر من هذه البلاد الحارة.

لفت إنتباهى أن حواراً دائراً بين راكب فى العقد "الثالث" من عمره شعره أسود عميق من النوع القنفدى يرتدى بنطال "جينز" ليس بالواسع كفاية وينافسه تيشيرت قزحى الألوان .. وراكب آخر فى العقد "الرابع" من

عمره شديد حمرة الوجه تتذيله لحية مهذبة ويرتدى جلباب أبيض ملائكى .. وثالث فى العقد "الخامس" من عمره شعره أبيض كثيف قمحى البشرة يعقد حاجبيه كأنه يستعد للمبادرة بأول لكمة فى حال تطورت المناقشة الساخنة التى لم أهتم بفحواها .. إلى أن داعبت أذناى كلمتين هما "الرئيس و العدالة" لم أدرى ما العلاقة بين الكلمتين إلا أنهما أضفوا على وجهى المزيد من السعادة على أثرها.. إتسعت إبتسامتى

وتوقف الميكروباص .. إنها لجنة تفتيش .. ليس بالغريب فى هذا الوقت المتأخر من اليوم .. إنفتح الباب وأطل وجه لم يختلف كثيراً عن الذين أراهم كل يوم إلا أن حاجبه الأيسر يرتفع بإستمرار عن الأيمن ليقلل من إتساع جبهته العريضة !!

وأخذ يمسح الوجوه بنظرته الثاقبة المتحفزة .. فلم يثير حفيظته إلا "العبد لله" .. أصابنى الكثير من القلق .. فحاولت أن أخفى إبتسامتى عن وجهى .. إلا أنها أبت أن تفارقنى وظلت تتسع بين وجنتى ليثور ذلك الشرطى وكأنه يرى قناع "فانديتا" على وجهى .. حاولت جاهداً أن أذيب الوجه المستفز ولكن بلا فائدة.

أشار إلىَّ الشرطىُ بالترجل من السيارة وحدق كثيراً فى تحقيق الشخصية التى أرسلها لأحدهم وإلتفت إلىَّ يسألنى .. والقناع ما زال يغلفه صمت

جليدى .. مما جعله يقترب منى يتأمل هذه الإبتسامة وأنفاسه ترتطم بوجهى فى غيظ.

فَأَمَرَ أحد جنوده الأوفياء بالزج بى فى سيارة الشرطة وما أن إستقر بى المقام حتى رأيت ذمرة من الرجال الذين تم الزج بهم قبلى فى إنتظارى .. وإندهشت عندما رأيتهم يبتسمون نفس الإبتسامة .. هنا إنتهت نوبة الحرمان التى أصابت وجهى وذابت الإبتسامة أخيراً ليحل محلها وجوم طويل .. فتجرأت أسألهم عن وجهتنا التالية ؟؟

فأجاب أحد المبتسمين : مديرية الأمن الوطنى

فإستفسرت فى رعب بالغ : أليس هناك يتم الـ.....

لم أكمل عبارتى فقد قاطعتنى الصحبة بإمائة من رؤوسهم جميعاً ...

هنا أدركت مصيرى لامحالة

وعادت إلىّ الإبتسامة مرة أخرى

ربما تكون الأخيرة .....

رجوع للفهرس

النجـوم

تطلعت صحيفة الصباح كعادتى دائماً متلهفاً لأخبار الأبراج ونظرت إلى برجى أسرق سطوره يرشدنى أن "شخصية من الجنس الآخر تدخل السعادة لقلبى"

وكان أجمل ما قرأت منذ تشاجرت مع خطيبتى (ولاء) ..عنيدة هى تلك الفتاة .. تسيطر الغيرة على قلبها لمجرد نظرة بريئة أو كلمة مجاملة.. بسببها يبدأ الشجار ويضيق الخناق دون وجه حق.. ورغماً عن ذلك دائما ما أشتاق إليها فأعتذر لها كونى أنا المخطئ لتبقى بجوارى .. ولكن يبدو أن هذا قد زاد عن حده بالفعل.. لن أحتمل الظلم ورجوها بالإعتذار مرة أخرى ..

- لا يا (ولاء) لن يتكرر ذلك ..

قلتها وأنا أخلع الدبلة وأضعها أمامى فى حذر..

- تباً.. حتى الدبلة أرغب فى الإعتذار لها .. يالها من حياة

أمسكت الصحيفة مرة أخرى أتطلع إلى صفحتى المفضلة وجذبتنى العبارة مرة أخرى وعزمت عليها فالنجوم لا تخطئنى أبداً ..

نزلت إلى كافتيريا الشاطئ أتناول فنجان الشاى .. وهذه أيضا عادتى !! لقد أصبحت حياتى روتين أمقته .. حتى هؤلاء الناس لايختلف تعبير وجوههم المبهم كل صباح و...

.. ومن هذه الفتاة الحسناء ؟؟

جلست بالمائدة التى أمامى وجهها فى وجهى تبتسم ليومها وماحولها... ترتشف عصير البرتقال بشفتين رقيقتين ثم تنظر من النافذة إلى الشاطئ فى بهجة .. وما إن التفتت حتى لاقت عينيها وعينى .. ومالبثت حتى أعطتنى نصيبى من إبتسامتها المشرقة ..

أما أنا فقد قفز قلبى ينبض حائلاً بينى وبين عيناها فلم أتمالك نفسى من نظرتها الثانية.. فنهضت وإتجهت إلى مائدتها ملقياً عليها تحية الصباح محاولاً جذب أطراف الحديث .. فردت فيما يبدو بسعادة مماجعلنى أسالها مستطردا :

- **هل تسمحى لى أن ألقى عليكى سؤالاً ؟**

أجابت وقد إتسعت إبتسامتها : بالطبع تفضل....

لا أدرى كيف جلست ولكنى وجدت نفسى كذلك وأنا أسألها:

- إشراقة وجهك تخبرنى أنكى تقربين لأحد أصدقائى هل تعرفين (ماجد صابر)؟

ضحكت لسؤالى ولم أعرف لمَ إنفطر قلبى من السعادة... يبدو أنه يوم سعدى مع الأبراج...

إذ أنها أجابتنى بإيمائة خفيفة .. وما أن ثبت صحة إعتقادى الذى غرز بى الشك منذ البداية .. حتى إنهلت عليها بالأسئلة والإستفسارات عن صديقى الذى أكاد أتذكره منذ آخر مرة قابلته فيها .. وما إن تناولنا أعماق الحديث حتى أصبحنا نتبادل النكات والحوار الشيق فظن البعض أن بيننا أُلفة قد نشأت منذ أمد بعيد .. ألم أقل لكم إنه يوم حظى ..

وبينما نحن كذلك لمحت من دق لها قلبى منذ البداية .. جاءت وعلى ملامحها علامات الإعتذار .. لقد خاب ظنى بها .. إعترفت بخطئها وجاءت من أجلى .. وفجأة .. تبدلت مشاعرها إلى لوم وحزن عندما رأتنى مع صديقتى .. وعاد شيطان الغضب..

فألقت إلىَّ بالدبلة وخرجت وورائها العاصفة .. قد يكون لديها بعض الحق ولكنى لن أعتذر لها بعد الآن فقد وجدت من يقدرنى ويصدق حبى .. إنها صديقتى .. التى إرتسمت على وجهها علامات الدهشة عندما أشارت إلى

يدى .. وإكتشفت هذه المرة لما خلعت (ولاء) الدبلة .. لأنى لم يكن معى قرينتها .. ويبدو أن لها الحق هذه المرة .. كل الحق ..

ولم أكد أفيق من دهشتى حتى نهضت صديقتى تعتذر مغادرتى لإستقبال خطيبها .. ومرة أخرى أفاجأ بدبلتها فى يدها .. وكانت الصدمة أشد مما ينبغى .. طارت عصفورتى من قفصى وأدارت زهرتى وجهها عنى وبقيت وحدى.. فى ليلى مع الجريدة .. أنظر إلى السماء فى أسف وأتطلع إلى حظى ..

والنجوم ...

رجوع للفهرس

الحب الموازى

- ها هو ذا هناك.

- أين ؟ أهو ذو اللحية القصيرة.

- لا .. ذلك الطويل ذو البالطو الابيض.

- أووووه .. يالكِ من محظوظة إنه وسيم جداً .. حتى طوله مناسب لكِ

- هو كله مناسب لى .. كم أشتاق لليوم الذى ألقاه فيه.

- ألم تتاح لكِ الفرصة بعد ..!!

- ولا مرة .. إنه يلتزم الهدوء دوماً وقليل الإنفعال .. بالرغم من حبه الشديد للعزلة.

- كيف أخلاقه ؟؟ هل يلتزم الصلاة ؟؟

- شيئاً من هذا القبيل أنا أراقبه منذ خمسة عشر عاماً .. أخلاقه رائعة خاصة مع النساء ويحبه الجميع .. ويصلى أحيانا كثيرة .. ويحب القراءة.. ويشرد أكثر مما سبق .. فهو .. فهو .. وقع بحب إحداهن.

- ياااه .. ماذا ؟؟ وكيف تتركيه يقع بحبها ؟؟

- لم أشأ أن أعكر صفوه .. هى أيضاً جميلة .. وإن كانت الغيرة ستقتلنى منها.

- كيف هى ؟؟

- ها هى ذى تصافحه .. فهى زميلته فى العمل ويقابلها كل صباح.

- أنتِ أجمل منها تلك القصيرة الشمطاء.

- حقا !! .. لا تجامليني

- أنظرى لقوامك وقوامها .. لشعرك المسدل الأطول من فستانها .. حتى أنها لا تجيد حسن الكلام .. هل تحدثتِ معه ؟

- خجلت أن أحدثه .. فأقطع صمته الطويل مع نفسه .. ولكنه رآنى ونظر إلىّ طويلاً ذات مرة.

- فعلاً .. أراهن أنه يستحضركِ بأحلامه دوماً .. ويهيم بكى عشقاً .. فضلاً عن تلذذه بكى فيأبى أن يغادر دفء الفراش.

- هههههههههههه .. لا تحرجينى أكثر من ذلك.

- هههههههههه .. إنصتِ .. سأسدى لكى خدمة العمر .. هل ترين رفيقى هناك

- رفيقك .. أين ؟؟

- منتظر بالسيارة .. سأجعله يتشاجر مع الوسيم حتى يثير به غضب لم يصادفك من قبل .. وتكون الليلة فرصتك.

- حقاً .. ستكون خدمتك هى أسعد ما حدث لى.

- بل الليلة ستكون الأسعد فى حياتك .. وهى الليلة الأخيرة فى عالمنا .. عالم القرين.

- نعم .. وسأحرص على أن يعشق نفسه التى سأسكنها ..

ولا يعشق غيرى ..

أبـــداً .....

رجوع للفهرس

شـــــر ط

ساد الصمت الممل على الجميع فى انتظار من يتكلم أو يتنحنح أو حتى يعتدل فى مقعده .. إلا أنهم إلتزموا جميعاً بحصة طويلة من الصمت ينظرون تارة لبعضهم .. يبتسمون .. وتارة أخرى إلى الأرض .. محتارون .. وتارة أخيرة إلى النجفة الضخمة فوقهم .. منبهرون!!

ومن خلف الستار شابة عشرينية تعقد حاجبيها فى غضب من هذا المشهد الدرامى المضحك .. فتزفر فى وجه أختها هامسة :

مالهم وكأن على رؤوسهم الطير .. لا ينبسون ببنت شفة !!

تزفر أختها أيضاً وكأنها تنتقم من زفرة العروس فى وجهها قائلة:

أبوكى هو السبب .. ظل يتحدث فى السياسة لمدة ساعة ونصف الساعة حتى أعياهم الحديث .. أقسم بالله لو أنهم أنهوا اللقاء دون فتح موضوع الزواج .. لكان خيراً لهم من حديث الثلاثاء الذى لا ينفك أباكِ من الخوض فيه بمناسبة ودون مناسبة.

وخزتها العروس بكتفها فى حنق قائلة:

احترمى والدك حتى ولو لهذه الليلة.

ثم رفعت يديها تدعو :

ربى صبرنى صبر الفاتحين يااااارب

جذبتها أختها من ذراعها بلهفة :

انصتِ خطيبك على وشك الحديث.

ظلا ينصتا للصمت الذى قطعه العريس المنتظر قائلاً:

يشرفنى يا حاج .. أنى أتقدم لطلب يد كريمتكم الكبرى للزواج

انطلقت تنهيدة ارتياح من الجميع لهذا التصريح المتأخر .. الذى أعقبه استحسان وقبول وتبريك وتهانى من الجميع إلى الجميع .. ابتسمت على أثرها الفتاتان .. وظهر على وجه العروس بعض الخجل الضرورى لهذه اللحظة .. لم تكد اللحظة تنتهى حتى طلب العريس رؤية عروسته .. كان طلبه متعجلاً وكأنه يخشى الإفراط فى الفرحة الجمة التى أصابتهم .. ولكنه لم يثير حفيظة احد .. بل قابلوه بالترحاب الشديد ..

وفى حجرة منفصلة صافح العريس عروسته باهتمام وتفحصها بطريقة لم تختلف كثيراً عن فحص أجهزة فحص الهوية قبل أن يتحدث بقالب ابتسامته الهادئة قائلاً:

قبل ما أعرفك على نفسى أحب أن أتحدث عن ميولى واهتماماتى اليومية التى أتمتع بها الآن وبعد الزواج .. وهى لن تختلف كثيراً عن اهتمامات أى رجل مسئول عن بيت وأسرة .. وبما أننى سأكون المسئول الأول والأخير عن حياة هذه الاسرة إذن يجب أن يخضع هذا الكيان إلى تعليماتى التالية ...

إزدرد لعابه وقد ظهر القلق على وجه أم العروس الجالسة تستمع فى صمت إلى زوج ابنتها فى المستقبل متابعاً:

أولاً أحب أن أتناول فطورى صباحاً قبل الذهاب للعمل .. فأنا لا أتناول طعامى خارج البيت وهذا من التوفير .. وعندما أعود أجد الغداء جاهزاً ولا تتذمرى عندما استلقى نائماً بعد إرهاق اليوم الطويل .. ثانياً لا أحب الخروج والفسح فهذا إسراف لا طائل منه .. ولا داعى للعزومات والزيارات ففيها مجاملات باهظة الثمن .. يكفى الاتصال والود .. ثالثاً ممنوع زيارة الأصدقاء للبيت أو خارج البيت .. يكفى الاتصال بالهاتف ويرجو ألا يكون طويلاً حتى لا انزعج من قيمة الفواتير .. رابعاً لا داعى

للإنجاب فى بداية حياتنا على الأقل لتجنب الوقوع فى مصاريف العلاج والتعليم مبكراً فضلاً عن أننى لا أحتمل صراخ وعويل الأطفال .. وأخيراً توفيراً لمصاريف الزواج نكتفى بدبلة وخاتم ولا داعى لحجز قاعة والمظاهر الفارغة .. فأنا رجل عملى بحت كما تلاحظين.

قالها .. وقد ارتسم الوجوم على وجه الفتاة وأمها، التى هى على تمام العلم أن ابنتها العزيزة لا يمكن أن تتكيف فى هذا الوضع الذى يعتبر مشين لفتاة تعشق الصخب والإنطلاق وقلما تمكنت منها يوماً لإجبارها على ترتيب حجرتها أو إعداد فنجاناً من القهوة لوالدها ..

شردت الأم وهى تنظر لابنتها التى أطالت التحديق بهذا الشاب الوسيم الأنيق الذى يعمل مهندساً فى إحدى شركات البترول رغم بخله الصريح الذى أعلنه بهذه المحاضرة العريضة دون خجل وكأنه يتفاخر بهذا العيب الخطير فيه ..

مضت دقيقتين كاملتين من السكون القاتل فى انتظار انفجار وشيك من الأم او ابنتها ..

موافقة ....

فجرتها كالصاعقة على رأس والدتها التى عقدت حاجبيها فى دهشة بالغة وحدقت فيها بحدة وكأنها تتأكد من كونها ابنتها المعهودة .. وابتسم الشاب الوسيم لهذه الموافقة المباشرة .. إلا انه عقد حاجبيه إثر تعقيبها :

ولكن بشرط ...

العريس فى قلق :

ما هو هذا الشرط ؟؟

العروس فى ثقة :

أعزمك خارج المنزل مرتين فى الأسبوع .. على حسابى

كان شرطاً غريباً فيه الكثير من التكليف .. ولكن لماذا؟؟ انطلق هذا السؤال فى ذهن الأم ولكن بلا إجابة شافية ونفس السؤال أطلقه العريس ولكن على لسانه مستفسراً .. فهزت الفتاة كتفيها قائلة فى بساطة :

أرى أنك ستحتاج بعد يوم عمل شاق بعض التغيير اللازم بالخروج فى أماكن عامة .. وقد أشفقت عليك من المصاريف الضارية .. فقررت ان تكون على حسابى بالكامل .. واطمئن سيتم تزييل هذا الشرط بالكامل فى

إستمارة عقد القران .. بحيث سيكون إلزامى وبشرط جزائى ضدى إن قصرت فيه يوماً ما .

كان العرض مغرياً للشاب الذى ابتسم وهو يقيسها من جميع الزوايا هندسياً كما تعود .. فوجد أنه لن يخسر شيئاً رغم تنازله عن أحد شروطه وهى الفسح كما ذكر سالفا ولكن..

ما المانع ؟

ابتسمت الفتاة فى نشوة انتصار عقب هذه الإجابة الشافية وأخذت الأم تنقل نظراتها منها للعريس فى حيرة من هذه الإتفاقية العجيبة فى أول يوم للإرتباط .. فأسلمت أمرها لله .. المهم نسترها ونخلص.

****

..كان الصخب عالياً بهذا المكان الكبير الذى يكتظ به الالوف من البشر .. من بينهم ظهر الشاب عاقداً حاجبيه فى غضب صارخاً فى وجه زوجته :

ألا يوجد مكان أنسب من هذا لتناول العشاء ؟!

الفتاة فى مرح : وهل يوجد أجمل من العشاء مع كل فئات المجتمع؟! ومع هذه الفرحة الغامرة ؟! إنه عرس رائع يا حبيبى .. سأعوضك عن حفل زفافنا الذى فاتنا

قالتها وهى تناوله قطعة من الدجاج المشوى بفمه وتضحك من تردده فى أن يهتم بتناول الدجاج الذى يحبه أو أن يستمر فى إبداء اعتراضه وغضبه .. وتعيد ضحكتها وهى تقول :

هيا عش أجمل لحظاتك .. فهى لن تتكرر إلا مرتين فى الأسبوع

اتسعت عيناه فى ذعر مكرراً:

ماذا؟! .. مرتين فى الأسبوع !! .. هل سنأتى هنا مرتين فى الأسبوع!!

أشارت الفتاة له بإبهامها محذرة :

إياك أن تتذمر أنا أنفذ الاتفاق وعليك أن تلتزم به من جانبك .. غير أننى مشتركة فى الرابطة منذ سنوات.

أى رابطة ؟!

رابطة أولتراس أهلاوى

كان قولها له عاصفاً .. أعجزه عن نطق حرفاً واحد .. فهو لا يحب كرة القدم .. ويبدو أنه نسى وضعها فى قائمته قبل الزواج .. وماذا لو منعها الآن .. سينفذ هو الشرط الجزائى العكسى .. هو ليس بالمبلغ الضخم .. ولكن يصعب التفريط فيه .. فضلاً أنها لن تصمت هذه المتهورة وستقلب الدنيا رأساً على عقب بلا هوادة .. ظل ينظر إليها وهى تهتف بحماس لفريقها .. فأقترب من أذنها يتمتم بصوت لم يألفه فى نفسه من قبل :

هلا خرجتى مع صديقاتك بدلاً منى .....

وأحرز الأهلى هدفاً .. واحتضنته الفتاة .. وفى عينيها

فرحة نصر عظيمة

رجوع للفهرس

كائـن حـى

- أنت .. أنت.
- ماذا؟ .. ماذا تريد؟
- هل ترانى؟ .. إننى لا أرى أحداً.
- وماذا يهم أن أراك أو ترانى .. المهم هو من يجب أن يرانا.
- ولماذا يتجاهلنا دوماً؟ .. لم يفكر يوماً أن يستعين بنا ولو للحظة.
- هذا ما يجعلنى فى حيرة من أمرى .. يا له من كائن عديم المسئولية.
- كيف هذا؟ .. لقد خلق من أجل البناء والبقاء .. وهل توجد مسئولية أعظم من ذلك؟
- يبدو أنه نسى أنه من أجل هذا خلق .. وبالتالى نسى أمرنا .. وانشغل عنا.
- إذن ما العمل .. يجب أن نذكّره بنا وإلا هلك لا محالة.
- ليس لنا أن نذكّره .. فنحن نتجاهل من يتجاهلنا .. وسيأتى اليوم الذى يتذكّرنا فيه.
- متى؟ .. متى؟
- لا نملك إلا الدعاء .. عسى الله يُحدث بعد ذلك أمراً.

ساد الصمت مطابقاً للظلام الدامس .. وقد طُمست معالم وأبعاد هذا الكائن الساكن بلا حراك ويبدو أن الدعاء بالفعل أحدث بعد ذلك أمراً ...

- إنى اسمع صوت يقترب.
- إذن كن كما أنت فقد أدرك أخيراً ضالته.

إقتربت الخطوات .. وبدأ المكان بالاهتزاز والاكتناز .. ثم مال ما مال .. ووقع ما وقع.

- أستغفر الله العظيم .. كده وقعت المصحف !!
- ماأخدتش بالى منه .. كان مدفون وسط الكراكيب.
- طب نفضه من التراب اللى عليه وحطه على دولاب التليفزيون.

ووُضع الكتاب .. وعادت الصفحات تغرق فى ظلامها متلاصقة .. كما صنعت أول مرة لتبقى كما كانت كل مرة .. يطوى الغلاف داخلها حروف من نور ..

تنتظر من يلقى عليها ولو نظرة ....

رجوع للفهرس

ما لا طاقة لى به

- كيف لكِ أن تفعلين هذا ؟
- افعل ماذا؟ .. أنا لم أفعل شيئاً ؟

بالفعل لم تفعل شيئاً يُذكر يبرر هذا الغضب الذى يعترينى .. منذ لاقيتها أول مرة شعرت أنها ستغير بى شيئاً ما .. لا أعلم هل هذا الشىء سيتغير إلى الأفضل أم إلى الأسوء .. لم أبالِ كثيراً .. فلقائها كان خفقة قلب ورجفة فى أوصالى وقالب ثلج يقيد لسانى .. كل ما يُحكى فى أساطير الحب أصابنى بحمى لحظة .. وتوجنى كملك فى لحظات أخرى .. فلا تتحدث نظراتى عندما تغادرنى إلا بقول : "أشكرك على هذه اللحظات .. أشكرك كثيراً" ..

اكننت لها الوفاء والامتنان ودَين يثقل أكتافى .. فملكنى أرق عظيم جعل من سهر الليالى صراع ضارى بينى وبين نفسى الخاضعة .. أحب أن تخضع لها نفسى فهى مدينة لها بحبها .. يكفى أنها أحبتنى .. فلم أكن أجرؤ أن أحبها لولا أنها اعترفت بحبها لى .. هنا يكمن سر حياتى .. التى ستنتهى بمجرد أن أقرر أن ابتعد عنها يوماً ما ..

ستتشقق ملامحى .. كبناية عتيقة أرهقها دبيب أقدام الأطفال .. فلا تقوى على الإنهيار خوفاً على الصغار .. وبالكاد تحفظ ماء الوجه أمام البنايات المجاورة ..

ستحتار فصولى .. ما بين شتاء يلفحه نار قارسة .. وصيف يلسعه جليد ضارى !! .. فألتزم بيتى ما بين ذكريات خريف فراقها وربيع لقائها ..

ستتبدل المعانى .. فتصبح أنفاسى فراغ قاتل أستنشقه بعمق .. وطعم الماء سمُ فتاك أعشق عطشه .. ولون السماء كجفاف الأرض .. الصماء ..

ورغماً عن ذلك ..

- اتركينى وارحلى .. فلا تقوى قدماى على الحراك
- لن أرحل عنك وفيك رحيلى ومثواى

قالتها وتسللت قطرة وكأنها تتجسس من حافة جفنيها وسقطت .. أو انتحرت على وجنتها النضرة .. صكت بصوت ارتطامها أذناى وتردد صداها فى أرجائى .. وكانت انتفاضة جسدى هذه المرة عظيمة

- لا تبكِ .. فهذا آخر ما أطيق.
- كيف إذن تطيق فراقى ؟! .. وأنا "أحبك"

يا لها من كلمة .. هامسة ناعمة ثائرة .. ساحقة لمن يهزأ بها .. ومعذبة لمن لا يستحقها

- **أنا لا أستحقك .. فأنا أقل من أن أخدم يوما تحت قدميكِ**
- **حبى لك يذيب هذا الفارق ...**
- **بل حبك يذيب سد منيع من النحاس لا يقوى عليه قوم يأجوج مأجوج .. ولكنه سيكون بيننا كورق رقيق من السلوفان الملون .. يحتوينا بغلافه الأنيق .. إلى أن يطويه الزمن وعوامل التعرية الاجتماعية .. فأبقى أنا كما أنا .. أوصل طلبات البيتزا لمكتبك .. وأقبل بقشيشك عن رضا ..**

وحتى هذا ..

لا طاقة لى بـه ..

رجوع للفهرس

مثلـى

ترددت ضحكاتهن فى هذه الليلة بعد غياب اللقاء بفترة ليست بقصيرة .. وفى أثناء حديثهما النسائى أقبلت عليهن طفلة تبدو علامات الحزن على وجهها العبوس فسألتها أمها فى قلق :

- لماذا أنتِ حزينة هكذا ؟ .. هل ضايقك "مختار" فى شىء ؟

لم تُجبها مباشرة .. ولكنها هزت رأسها فى ضيق قائلة :

- إنه لا يريد أن يلعب معى.

- وماذا يريد إذن ؟!

صمتت .. وظلت تربت على دميتها وكأنها تطيب خاطرها جراء ما حدث مرددة :

- هوناً هوناً .. سنلعب بدونه لعبة أخرى .. ليس بها انعكاسات.

إنتفضوا جميعاً وصرخت الفتاة إثر صوت تحطم زجاج للتو فى إحدى الغرف .. وانطلقت الأم هاتفة باسم "مختار" ..

كان يقف أمام المرآة المحطمة فى تحفز وغضب بعنفوان الرجال يجتاح ملامحه الصغيرة !!

احتضنته فى ذعر متسائلة :

- من فعل هذا ؟ .. ماذا حدث ؟

لم يجيبها إلا بنظرته القاصمة للمرآة المحطمة .. وصمته المعتاد يفرض نفسه على الألسنة العاجزة عن الفهم .. لملمت الفوضى بيديها المرتعشة معتذرة لصديقتها متوعدة إياها بتعويض مناسب عن التلفيات الناجمة .. عادت إلى المنزل والقلق ما زال يحاصر أنفاسها وعيناها تجوبان اللاشىء.

- هذه هى المرة الثالثة التى يكرر فيها فعلته .. يجب أن نعرضه على طبيب.

قالها الأب فى انفعال مشوب بالقلق فأجابته زوجته بعصبية :

- ابنى ليس بمختل عقلياً حتى أعرضه على طبيب.

- وهل ترين أن ما يحدث محض الصدفة ؟!! .. يحطم فاترينة زجاج بإحدى المحلات بقبضة يده أول الأمر .. ثم يركل أخرى فى عيادة الأسنان .. وأخيراً يحدث الأمر نفسه عند صديقتك .. من أين له بهذه العداوة التى يكِنّها للمَرايَا ؟!

طرقت الأم تفكر ملياً فى الأمر قبل أن تعثر على رد مفاجىء :

- إن لم يكن محض الصدفة .. فهل لك أن تفسر لى لماذا لم يحطم المرآة التى فى غرفته ؟!

شعرت أنها اقتنصت نقطة فى صالحها وهى تراقب حيرة زوجها فى الإجابة عن هذا السؤال فأجابت بدلاً منه فى ظفر :

- حبيبى هذا دوماً يحدث للأطفال .. قد يثيرهم أفعال من حولهم دون أن تلاحظ .. فيصدر منهم أفعال غير منطقية تتعجب لها بالمرة .. لأنك لو رأيت ما أثارهم .. لثُرت مثلهم .. أطفال حبيبى .. أطفال ..

كانت إجابتها مقنعة .. ولكنها لم تكن شافية لصدر زوجها الذى أخذ يتقلب فى مضجعه ليلاً والتفكير فى الأمر يعتصر عقله بإصرار .. فقرر أن ينهض ويذهب ليراقب "مختار" فى غرفته .. ووسط الظلام اقترب من الباب على أطراف أصابعه .. وتجمدت أطرافه .. رغم العرق المنساب على وجه

لم يجرؤ على التقدم خطوة أخرى .. أو لم يقوَعلى ذلك .. فقد فقدت مفاصل جسده خاصية الحركة .. وكأنه آلة أصيبت بصدأ مُعمِّر .. فاسترق

السمع من مكانه .. هى الحاسة الوحيدة التى أيقن أنها ما زالت على قيد الحياة.

- إنه يتحدث إلى أحد.

هكذا أسرها فى نفسه وهو يتحسس بأذنى طائر الوطواط الذى يبتعله الظلام الصمت الذى طال برهة وكأنها الفترة الكافية للطرف الآخر كى يتحدث لابنه .. لكنه لا يسمعه .. سرى تيار من القشعريرة الكهربائية فى جسده بالكامل أعادت خاصية الحركة لمفاصل جسده الذى اقترب واقترب .. والتصق بالباب يسترق السمع أكثر فأكثر ..

- أنت تغضبنى كثيراً .. قلت لك لا تذهب أينما أذهب .. ابق كما أنت هنا .. ولن أؤذيك ثانية

الصمت يغلف الظلام إلا من ضوء الغرفة الخافت يتسرب من أسفل الباب .. مرة أخرى يتحدث

- ومن يضمن لى أن توفى بوعدك هذه المرة ؟

- صمت مخيف من الطرف الآخر .....

- حسناً فلنرى .. إذهب للنوم الآن .. وغداً لنا لقاء

هنا فقط لم يشعر الأب بنفسه إلا وهو يقتحم الغرفة ورجفة عنيفة تنتاب جسده المتصفد بالعرق أعقبها قوله فى أنفاس لاهثة :

- توقف عندك ...

لم يجد أحد فى الغرفة غير "مختار" الذى تربع على مقعد أمام المرآة وقد انتفض إثر الاقتحام المفاجىء

- أين هو .. أين ذهب ؟؟

لم يجب الطفل .. يبدو أنه لم يفق من ذهوله بعد ..

- مع من كنت تتحدث يا "مختار" ؟ تكلم من هو ؟ وكيف دلف لغرفتك ؟

لم يجد رداً من الطفل الذى نظر إلى المرآة فى ارتباك وكأنه يخفى شيئاً يخشى أن ينكشف امره .. فبادر الأب بالنظر للمرآة التى لم تختلف عن أى مرآة رءاها .. فنظر لابنه يعيد عليه أسئلته فى إلحاح ..

وكأن الولد سيعترف على أحدهم ويكشف ما ستر .. وأشار مرة أخرى للمرآة .. نظر والده للمرآة عاقداً حاجبيه فى تساؤل :

- ماذا بها ؟ .. إنها مرآة.

- لا .. إنه مثلى.

- مثلك !! .. ماذا تعنى بكلمة مثلك ؟!

- مثلى يسكن المرآة.

كان قوله صاعقاً .. شعر الرجل بترنحه لحظة كاد فيها أن يُطرح من قمة الواقع إلى قاع وهم عميق .. قبل أن يتماسك أخيراً ويلمم شتاته .. محاولاً استرداد ربطة جأشه .. ولكن وهن صوته لم يسعفه على ذلك مردداً :

- يسكن .. ماذا ؟؟ .. من قال لك هذه التخاريف.

- ليست تخاريف يا أبى .. وهل تنطق أمى تخاريف ؟

كان وقع الكلمة عليه هذه المرة أعظم .. بل أثقل ما تتحمله قدميه .. لذا ترك نفسه ينهار على أقرب مقعد مكرراً رغم جفاف حلقه :

- أمك هى من أخبرتك بهذا؟ !! .. كيف تفعل ذلك ؟

- شاهدتها يوماً تتحدث إلى المرآة .. فلما سألتها مع من تتحدث .. قالت أنها "مثيلتها" تتحرك مثلها .. وتضحك مثلها .. وتتحدث مثلها .. وتصمت مثلها ..

- هى قالت لك ذلك ؟

- نعم .. إسألها.

لم ينتظر أن يطلب منه ذلك .. أسرع يوقظها من نومها يسألها عن فعلتها الحمقاء .. لم يبدو أنها أفاقت من غفوتها .. اذ ابتسمت له فى بساطة مفسرة :

- كنت استعد لخروجى وكعادتى كنت أتغنى أمام المرآة .. فاعتقد "مختار" أنى أتحدث إلى نفسى .. فلما سألنى مع من أتحدث .. قلت له بمزاح إنها "مثيلتى" .. هذا كل شىء

- هل تدركين بمزاحك هذا أنكِ السبب فيما يعانى منه "مختار" من هوسه بمثيله فى المرآة ؟

- مستحيل .. هل يتحدث لنفسه فى المرآة.

- بل يتحدث لمثيله .. ويغضب منه ويعنفه .. بل ويحطمه عندما يلاحقه خارج المنزل.

- ماذا ؟! .. لم أعلم أن خياله سيقوده لهذا ..

- اذهبى وأخبريه بالحقيقة .. أخبريه أنها صورة له تتحرك على أى سطح مصقل .. عليكى أن تعيدى تصحيح خطأك الذى اقترفتيه.

- حسنا حسناً .. سأفعل .. إذهب أنت واستعد للنزول .. فقد أوشك النهار على البزوغ

نوع من الارتياح ينقصه بعض الرضا ظهر فى قسمات وجهه قبل أن يؤيد مقولتها ويذهب .. وإلتفتت هى الى مرآتها بنظرة معاتبة :

- هل شاهدتى ما حدث ؟ .. كاد أن يفتضح أمرنا ويحدث مالا يُحمد عقباه ..

ووقف الطفل خلف الباب المُوارَب يراقبها ..

وهو يبتسم ...

رجوع للفهرس

ليس لها مثل

رأته يبتسم فى مرآتها .. فابتسمت .. أشارت بإبهامها ليتقدم والتفتت له وقد اتسعت ابتسامتها وهى تحتضنه .. ثم أراحت رأسه الصغير بين كفيها ونظرت إلى عينيه برهة قبل أن تطبع قبلة حنونة على جبهته .. ثم تحتضنه مرة اخرى ..

كانت تسترجع فى هذه اللحظات أياماً بعيدة وهى تنظر إليه .. وكأنها تنظر لطفولتها البريئة تداعب الأزهار بحديقة المنزل ويتلقاها والدها عندما يدلف من الباب مرة وهى سعيدة .. ومرات أخرى يغلبها الحزن :

- لماذا تبكى يا صغيرتى ؟ لماذا دوما يمتلكك هذا الحزن ؟

- اشتقت لأمى يا أبى

كان يعلم اجابتها قبل ان يسألها ورغم ذلك كانت كلمتها تعتصر قلبه

- ذهبت والدتك إلى بارئها .. رحمة لها من المرض اللعين.

- وهل لا تجوز الرحمة إلا على المريض؟ .. أريد أن أمرض مثلها .. فأذهب حيث هى الآن.

أزعجه قولها فلم يدرى بأى قول يبادرها ؟ .. لذا استغل ظهور زوجته الجديدة لتغيير دفة الحديث .. واستقبلها مرحباً :

- كيف حالك حبيبتى ؟ .. ماذا أعددت لنا اليوم على الغداء ؟

- حمدا لله على سلامتك حبيبى .. أعددت اليوم أطيب الطعام لصغيرتنا .. وأيضا أعددت لها مفاجأة ستسر لرؤيتها.

- حقاً .. ما هى ؟

- بعد الغداء ستسمعين المفاجأة بنفسك.

- اسمعها! .. هل هى لعبة؟

- لن أفصح عنها .. فالمفاجأت خير المسرات.

استسلمت الفتاة للامر .. وبعد تناول الغداء انطلق هذا النباح من حديقة المنزل .. كان "جرو" صغير فرائه كثيف أبيض اللون ويحيط رقبته طوق من الجلد مقيد أخره بسور الحديقة وكانت الزوجة بجواره فى انتظار الفتاة لاستلام هديتها.

وبالفعل أدخلت السرور على قلبها وظهرت السعادة على وجه والدها الذى احتضن زوجته امتناناً وهو يراقب صغيرته تداعب هديتها فى سعادة .. لم يكن يرغب أكثر من أن ينتزعها من حالة الاكتئاب المقلقة فى الفترة الأخيرة وقد بلغت عامها الخامس من العقد الثانى .. وهى بداية المرحلة

الاكثر خطورة فى حياة أى فتاة .. لذلك كان لابد من أن يتزوج إمرأة تستطيع أن تتابعها وتهون عليها غياب أمها لعامين كاملين آثرت فيهما الانطواء بغرفتها والتأمل لصورة الراحلة باستمرار .. وكانت الزوجة الجديدة خير اختيار .. وخير سكن

- سينام معى فى غرفتى.

- كما تشائين حبيبتى .. كما تشائين.

كانت هذه الليلة سعيدة وهى تحتضن كلبها فى مضجعها بشوق وكأنه وسادتها المفقودة تبعث عليها دفء غاب عنها طوال عامين من الفراغ البارد .. وبدأ هذا الفراغ يعود تدريجياً وتيار بارد بدأت لسعاته ترتطم بوجهها .. تحسست غطائها فلم تجده .. ولم تجد أيضاً كلبها .. تثائبت فى ضجر قبل أن تفتح عينيها فى كسل ..

- ما هذا ؟

كانت عينان واسعتان ترمقها وسط الظلام السائد بالغرفة فى صمت .. إنه الجرو الصغير لا محالة .. مدت يدها إليه لتحمله لكنه تراجع واطلق عواء بصوت خافت دلالة الاعتراض .. فقررت الفتاة النهوض .. وهنا انطلق الكلب خارجاً من باب الغرفة المفتوح .. ألم يكن مغلق باحكام! .. من

الذى فتحه؟! .. لم يمنعها ذلك السؤال عن مطاردة كلبها الذى انطلق يقطع درج السلم الى أعلى بخطواته الصغيرة وهى تلاحقه وسط الظلام الدامس .. وصعد الكلب .. وصعدت هى ورائه فى محاولة للحاق به .. ولكن خطواتها أيضاً كانت صغيرة .. ورغم ذلك لم تتوقف .. ولم تتردد فى متابعة ملاحقته الى أن بلغ منها التعب .. شعرت بالاجهاد فتوقفت متسائلة ..

- ما هذه السلالم الكثيرة؟! .. كان المفترض أن تنتهى بعد طابق واحد لا أكثر!

نظرت لأعلى .. ما زال للسلالم بقية ! .. فنظرت لأسفل قبل أن تطلق شهقة مكتومة .. يبدو أنها صعدت كثيراً .. كثيراً جداً .. فقد رأت الكثير من الطوابق التى قطعتها بالأسفل ..

- هناك خطأ لا ريب .. أين أنا ؟

بلغ منها الخوف مبلغه .. سرت بها قشعريرة إثر ذلك الشىء الذى أخذ يلعق يدها .. إلتفتت فى بطء محاولة اختراق العتمة السوداء لتميز كلبها الصغير .. واتسعت عيناها فى رعب بالغ.

استيقظت وهى تلهث فى عنف والعرق يبلل جبهتها .. ولعاب الكلب يبلل يدها .. كان واقفاً فى هدوء يلعق أصابعها .. نظرت إلى الباب .. كان مغلقاً كما تركته .. هدأت أنفاسها وهى تحمد الله .. وعادت تحتضن كلبها وعادت تغط فى نوم عميق.

- لم تعد تلهو معه كما عاهدتها فى أول لقاء.
- هل حدثتك عن أى شىء أزعجها أمس؟

هزت الزوجة رأسها فى نفى مجيبة فى أسف :

- عادت لانطوائها من جديد ومن أول اليوم وهى ملتزمة الجلوس على أطراف بركة المياه .. كنت أعتقد أن الكلب سيشغلها لفترة كافية حتى تنتهى أجازة الصيف .. لكنه خيب ظنى

نظر الأب ناحية الكلب الذى أخذ يتقافز حول بركة المياه الواقعة على أطراف الحديقة وهو يتسائل :

- ما بال هذا الكلب لا يتوقف عن القفز حول البركة ؟!
- ربما يريد أن يلفت نظرها ليلاعبها.

بدا المشهد غريب بعض الشىء .. فالكلب أخذ يتحرك فى شكل نصف دائرى وكأنه يحاصر شىء ما لا يلاحظه أحد .. وانتبهت الفتاة لهذا المشهد العجيب الذى أخرجها من شرودها لتتأمل حركات الكلب .. ولم تكد تنتبه له حتى انتزعت نفسها من مكانها بقفزة مفاجأة إثر انقضاض الكلب بعنف شديد على ثعبان كان يتربص له .. لذا أجبره الكلب على الإنزواء فى ركن بركة المياه وأخذ يصارعه بأقدامه الأمامية مما أثار الكثير من الغبار الذى أضفى على المشهد مناخ حلبات الثيران الأسبانية .. وانتهت المعركة بمصرع الثعبان .. ولم يكتفى بهذا .. بل إلتقم جثة هذا الاخير ليطيح به فى وسط البركة وكأنها مقبرة لغزاة هذا المنزل .. ووقف على حافة البركة يتأمل ضحيته وهى تغوص إلى القاع .. إلى المقبرة التى اختارها لها ..

اندفعت الزوجة تحتضن الفتاة فى لوعة فى حين توقف الأب منبهراً ينظر للكلب فى إعجاب ويعيد النظر لمقبرة الثعبان قبل أن يلتفت للفتاة محذراً :

- لا تجلسى هنا مرة أخرى .. هذه أخر مرة أراكى فيها تقتربين من البركة.

تذمرت الفتاة واتجهت للكلب تحمله تمسح على فروته الناعمة فى رضا مستهجنة أوامر أبيها :

- سأبقى بجوار البركة .. وسيبقى كلبى معى.

هم الأب بالرد عليها .. إلا أن الزوجة استوقفته بضغطة خفيفة من أصابعها على يده .. مشيرة له بضرورة تركها وحدها الآن وألا نعرضها لضغط عصبى أكثر من هذا .. فاستجاب لها وهو يأخذ نفس عميق محاولاً إمتلاك ما تبقى من أعصابه.

أصبح الكلب هو الصديق والرفيق والعزيز .. لا تتحدث إلا عنه ولا يلفت اهتمامها إلا هو .. ولا تقرأ إلا وهو يقرأ معها وما هو بقارئ .. وينصت لمكالماتها ويحضر وجباتها ويرافقها أينما ذهبت أو مكثت .. وأحياناً ترفعه من قائمتيه تحدثه.

- هل تعلم؟ .. أعتقد أنك كنت حزين مثلى قبل أن تلقانى .. وصرت الآن ملىء حياتك كما أنت ملىء حياتى .. لم أطلق عليك اسماً .. بماذا أناديك ؟؟ يجب أن يكون اسمك دلالة على علاقتك بى!! .. أنت مثلى فى كل شىء تحزن عندما أحزن تبتسم عندما ابتسم .. هل أطلق عليك نفسى اسمى ؟ .. هههههههه .. ليست لطيفة .. فأنت مهما كنت كلب .. ولكنى لن أتنازل كونك لطيف مثلى .. نعم مثلى .. سأطلق عليك "مثلى" .. ما رأيك بهذا الإسم .. هل راق لك؟ .. يروق لى أيضاً.

لم تكد تنتهى من حديثها له حتى اعتدلت أذناه فجأة وكأنها رصدت صوت ما .. قبل أن ينقبض بجسده الصغير لينزلق من بين يديها وينطلق فى سرعة نحو بركة المياه ليتوقف على حافتها .. ثم أخذ يتحرك فى تحفز جيئة وذهاباً !!

- ماذا هناك ؟ يبدو أنه شعر بوجود شىء آخر أثاره .. أبى .. أبى
- ماذا هناك ؟
- انظر

نظر إلى حيث أشارت فوجد الكلب يتشمم حافة البحيرة فى تحفز .. وفجأة رفع رأسه فى انتباه برهة قصيرة قبل أن يقدم على أخر ما يتوقعه أحد .. لقد قفز قفزة هائلة لا تتناسب مع صغر جسمه فى وسط بركة المياه ليصنع دوائر متسعة .. على أثرها أطلقت الفتاة شهقة مصحوبة بصرخة وهى تندفع نحو البحيرة ويحاول والدها اللحاق بها لمنعها من الاقتراب خوفاً من وجود ثعبان أخر على أطراف البركة .. لكنه لم يلحقها إلا على الحافة وقد ملكها الانفعال وسط بكائها .. وهى تمسح البركة بعينيها بحثاً عن كلبها .. ولم يظهر الجرو ..

تساقطت دموع الفتاة على سطح الماء وهى تنظر إلى الدوائر التى تصنعها .. لتظهر خلالها وجه الكلب وهو ينظر إليها فى حزن ويغوص إلى الأعماق .. حتى يختفى نهائيا لتحتل صورتها صفحة الماء.

أصرت الفتاة أن تلتزم المكوث يومياً على حافة البركة تتأمل وجهها على صفحة الماء فى حزن .. الذى لم يلبث إلا ويبتلع فرحتها القليلة فى هذه الحياة .. لماذا يذهبون جميعاً ويتركوا لى سنوات جديدة من معاناة الفراق؟ .. لم يعد لى طاقة أخرى لقذيفة جديدة من السعادة الواهية لتنتهى إلى الفراغ العريض الذى لا ينتهى .. لا أعتقد أنه يوجد من هو مثلى فى هذه الحياة ..

- هل إنتهيت ؟

رفعت رأسها تتطلع إلى من قاطعها .. فعقدت حاجبيها متسائلة فى نفسها من هذا الوسيم الذى قطع حبل أفكارها؟ .. تأملته برهة .. شاب متوسط الطول ملامحه منمقة مثل ربطة عنقه ..بشرته سمراء مثل شعره وعيناه ضيقتان عكس ثغره المبتسم.

- لماذا تنظرين لى هكذا ؟! هل أخبرته أن يتوقف عما يفعله ؟

أفاقت من شرودها وتنبهت أنها مازالت تحتوى صغيرها بين يديها! .. فبادرت بتقبيله قائلة وكأنها تستطرد حديثها دون الرد على عبارة زوجها الأخيرة :

- حسناً يا صغيرى .. كما أخبرتك .. هذه المرايا تعكس صورتنا جميعاً مثلها مثل أى سطح مصقل .. لا تحتوى على ما يسمى "مثلى" .. إتفقنا ؟

أومأ ابنها موافقاً قبل أن يرجوها بان يلعب اليوم مع أصحابه فى بهو العمارة فاستجاب لمطلبه

- ولكن بعد تناول فطورك.

انطلق جرس الباب وانطلق الطفل يلعب مع أقرانه وإذا به يسمع بنت الجيران أثناء تملقها فى نفسها أمام مرآة البهو فى زهو مرتكزة بقبضتا يديها فى خصرها :

- مثلى .. ليس لها مثل

إلتفت إليها الطفل يسألها فى دهشة :

- هل تلعبين هذه اللعبة ؟!

- أى لعبة ؟!

صاح منادياً على باقى أقرانه يجمعهم محدثاً :

- هناك لعبة جديدة سنلعبها سوياً .. شريطة ألا نخبر بها والدينا

- ما هى هذه اللعبة ؟

حرص على خفض صوته ليصبح أقرب إلى فحيح غامض قائلاً :

- لعبة "مثلى"

وانطلقوا يلعبون لعبتهم الجديدة ...

رجوع للفهرس

أول مرة

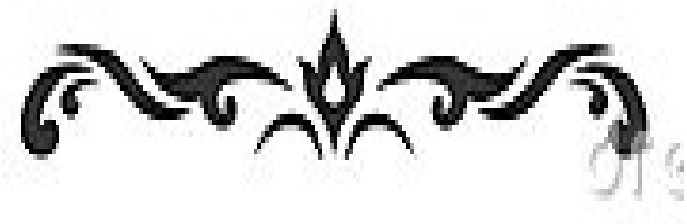

لم أحرك ساكناً عندما رأيتها .. وجهها الباهر يعلو عبائتها السوداء .. قد يظن من هو قريب منى أننى أشك فيها فأراقبها .. وقد يظن من لا يعرفنى أننى أضمر لها فى نفسى شراً ..

إختلست النظر إليها ولم أعير لنظرات الناس إهتماماً .. فقط أريد أن أراها .. كما رأيتها أول مرة .. وكما دق القلب أول مرة . وكما تمنيت أن أقابلها وأصافحها وأتحدث إليها .. أول مرة

وإن كتب لى عمراً جديداً سأقف هنا كل مرة لأحلق فى سماء هذه اللحظة..

ها هى تعبر الطريق تحت رزاز المطر الخفيف بخطواتها السريعة .. فهى لا تحب أن يراها الناس .. ولكن كل من يراها أول مرة سيقف مثلى يختلس النظر إليها ليشعر بما شعر به .. أول مرة

إبتلعت ريقى فى صعوبة إستعداداً لأقابلها .. وأتحدث إليها .. وحركت قالب قدمى الثقيل وأنا أهم بالذهاب إليها و.....

.. ولمحت تلك الشاحنة التى لم تتوقف عن إبتلاع الطريق .. متجهة إليها فى حركة عشوائية .. فخفت عنى قدماى مسرعاً إليها وهى تنظر إلىّ متعجبة ومبتسمة لمجيئى .. كالعادة ..

وأحتضنتها محاولاً تفادى الشاحنة .. إلا أنها كانت أكثر لهفة لتطيح بنا معاً .. وأنا أقابل زوجتى كأول مرة ..

وآخر مرة

رجوع للفهرس

الخطيب

كان الميدان يعج فى هذا الوقت بالمارة والمتلكئين .. لا أستطيع تمييز ملامحهم الممتزجة منها أوالممحاة .. شعرت بإرهاق أصاب قدماى وعرق غزير لزج يتغمدنى يغلب على جفنى النعاس .. وطار النعاس لحظة رأيته .. هو .. بالطبع هو .. يستحيل أن أخطىء هذه الخطوة وحركات وسكنات جسده التى أحفظها عن ظهر قلب.

هل أذهب لمصافحته فيستقبلنى بصدر رحب؟ .. أم سأفسد عليه خططه بإعتراضى طريقه؟

دى فرصتى إنى أقابله .. معرفش ممكن أقابله تانى إمتى؟ .. لا لا ياعم .. بص للناس .. مفيش حد فيهم وقفه وعطله .. الكل محترم خصوصيته وسايبينه لحاله ..بعدين بقى .. طب أنا مش حطول عليه .. حسلم عليه وأمشى على طول.

ظللت أحدث نفسى وأنا أنظر إليه بغية اعتراض طريقه .. ثم أتراجع وأشيح بوجهى عنه فى تردد خشية إحراجه بسوء سلوكى .. وأعود أغير رأيى وأهم بلقائه خوفاً من ضياع الفرصة التى نادراً ما تتكرر .. وأخيراً قررت ألا تضيع هذه الفرصة من بين يدى.

لم أكد ألتفت للذهاب إليه حتى ارتطمت بصدر ذلك الشرطى فى زيه الأسود وأكتافه العريضة وشاربه الكثيف .. استكثرت إضاعة الوقت فى تأمل ملامحه الغليظة فبادرته أسأله

فيه إيه ؟

بطاقتك ..

بطاقتى !! .. ليه فيه ايه؟ .. أنا معملتش حاجة حضرتك.

عمال تتلفت حولين نفسك زى النحلة بأُوطان .. مش عارف ترسى على بر .. هات بطاقتك.

طيب يعنى إيه تهمتى ؟! .. ده إنا كنت رايح أسلم على "الخطيب" !

"الخطيب" !! .. "الخطيب" لاعب الكرة؟

أيوة هو "الخطيب" لاعب الكرة.

شوفت الكعب الل عمله الماتش ال فات

أه طبعاً .. ده فى ماتش الترسانة .. كان تحفة .. ممكن بقى تسيبنى أروح أسلم عليه.

بطاقتك الأول ..

برضه ..

نظر لى فى تحد واضح تستشف منه إصراره على موقفه .. دفعت له بالبطاقة وأنا اتطلع للخطيب .. أكاد أميز أكتافه من أكتاف الشرطى الذى أخذ يتفحص ويتمحص بطاقتى الورقية قبل أن يتناول قلمه ويخط شىء ما فى إحدى صفحات تحقيق الشخصية فسألته فى فضول

بتكتب ايه ؟!

لم يجيبنى .. بل طوى بطاقتى ودفعها لى فى غلظة محذراً :

إنتبه لنفسك .. أنا مراقبك كويس

فتحت بطاقتى الورقية أبحث عما كتبه .. فوجدت هذه الجملة الغريبة .. "مثير للشك" .. عقدت حاجبى فى غيظ من هذه العبارة التى لا أعلم ماهيتها .. أهى تهمة أم ماذا ؟! .. فرفعت رأسى استعلم منه .. فلم أجده أمامى لقد اختفى الشرطى .. وكذلك اختفى "الخطيب" .. من المؤكد انه ذهب فى هذا الاتجاه .. سأذهب أبحث عنه .. لم أكد أخطو خطوتين .. حتى اصطدمت هذه المرة بشخص ما .. كان الارتطام عنيفاً سقطنا على أثره أرضاً .. نهضت أنفض ثيابى وأنا أسب وألعن هذا الـ ...

كان طفلاً فى بداية العقد الثانى من عمره .. هذا ما رأيته فى وجهه الطفولى .. الذى لم يتناسب مع جثته الضخمة التى وطأت جسدى الضعيف وطرحته أرضاً ..

آسف يا عمو والله .. مش قصدى.

مش تحاسب يا ابنى .. عجنتنى تحتيك حرام عليك.

معلش كنت عايز ألحق ألعب كرة مع العيال.

خلاص روح .. روح إلعب

تركنى أهندم ملابسى وأنا أنظر لهؤلاء الاطفال الذين إنضم إليهم رفيقهم يشاركهم لعبتهم المفضلة (كرة القدم) .. وابتسمت وانا اقول :

ليت الطفولة تعود يوماً ...

تذكرت هدفى الذى طُرحت أرضا من أجله .. "الخطيب" .. إلتفت أبحث عنه فإذا بى أصطدم بنفس الزى الأسود مرة أخرى مطالباً :

بطاقتك

تاانى .. فيه إيه ؟ .. حضرتك موراكش غيرى!!

أنا قلتلك إنى مراقبك .. وشوفتك وأنت بتسرق الولد الصغير.

بسرق إيه! .. إحنا اتخبطنا فى بعض وهو بيجرى .. مش أكتر.

برضه بطاقتك

ما هى لسة كانت معاك .. وكتبت فيها كلام غريب.

نفس نظرة الإصرار التى لم أملك غير الانصياع لها مرة اخرى .. وزججت له البطاقة هذه المرة فى ضجر وقد أوشكت فرصتى للقاء "الخطيب" على الضياع .. مرة أخرى يتناول قلمه ويكتب شىء ما ويناولنى البطاقة .. نظرت للكلمة الجديدة التى أضافها لتصبح الجملة "مثير للشك والريبة" !!

ريبة إيه؟ وشك إه؟ .. هو فيه فرق بينهم؟

طبعاً .. الشك معناه إنى كنت متردد فى اتهامك .. لكن الريبة معناها إنى اتأكدت من التهمة

عجبت لك يا زمن .. يعنى دلوقتى إتأكدت خلاص إنى مشبوه وقتال قوتلة !! .. طب حتاخدنى على الحبس الأول ؟ ولا المشنأة عدل ؟

لأ .. أنا حسيبك تروح .. بس لو شوفتك تانى مش حيحصل كويس.

إطمن .. مش حتشوفنى تانى .. لأن أكيد "الخطيب" مش حشوفه برضه تانى

رمقنى الشرطى الهمام بنظرة المنتصر على غريمه قبل أن يستدير لينصرف ويتركنى أندب حظى على ضياع فرصتى أمام هذا المتحذلق .. واستدرت بدورى لأعود أدراجى من حيث أتيت .. ولم أكد أفعل حتى ارتطمت بوجهى هذه الكرة لتستقر أمامى .. نظرت للأولاد مستشيط غيظاً وهممت بركل الكرة بكل ما أوتيت من قوة .. وبمجرد أن ركلت الكرة شعرت بألم كبير أصاب قدمى.

آه .. آه .. رجلى .. رجلى

أضاءت أمى نور الحجرة إثر صراخى وهى تسألنى فى قلق :

مالك يا "سامح" ؟ .. فيه ايه ؟

رجلى يا ماما اتعورت .. شوطت الشباك برجلى

مش قولتلك متنامش تحت الشباك تانى .. تلاقيك حلمت تانى بالزفتة الكورة .. وكل مرة تعور نفسك

ضمدت لى جرحى بقطنة وشاش قبل أن تحذرنى وهى تهم بالخروج من الحجرة :

نام عشان تقدر تروح الكلية الصبح .. عايز منى حاجة تانى ؟

آه يا ماما .. نفسى أشوف "الخطيب"

وصفعت خلفها باب الغرفة .. فى عنف ...

رجوع للفهرس

شِئْتِ أم أبْيِت

دلف "وليد" من باب الشقة - شاب فى العقد الثالث من عمره - مهرولاً إلى والدته المرابطة بالمطبخ .. يحدثها عن شيئاً بدا أنه خبر هام أدخل السعادة فى قلبها فاحتضنته بفرحة غامرة وهى تقبله .. قبل أن تشير له بإخبار والده الذى كان يراقبهما من الشُرفة فى تساؤل عن سر هذه الفرحة .. لم يتركه الشاب لحيرته كثيراً .. استقبله أبوه بإبتسامته المعتادة - لم يكن ليبتسمها لأحد غيره - وأجلسه أمامه ينتظر الخبر السار ..

- أبى .. أرغب فى الارتباط بفتاة .. هى زميلتى فى العمل.
- مبارك يا "وليد" .. أرى أن الحب قد ملك قلبك ونال أخيراً من بريق عينيك.
- هى فتاة رائعة تستحق هذا الحب يا أبى
- وهل تحبك هى قدر حبك لها ؟
- وأكثر مما تتوقع ..

تنهد الأب .. وكأن الذكريات إقتحمت خلايا عقله لتترك العنان لنفسها تجتاح عيناه فى شرود قبل أن يردد كلماته فى رصانة زائدة :

- ذكرتنى ببداية لقائى بوالدتك ..
- قَص لى كيف كان لقائكما؟ .. أعتقد انها كانت قصة حب مثيرة.

الأب مستمراً فى شروده :

- نعم هى كذلك .. كانت مثيرة لأقصى درجة.

***

قطعت دَرج مبنى الكلية فى خطوات واسعة قابضاً على علبة حمراء صغيرة فى يدى - المفاجأة التى أعددتها لحبيبتى - أخيراً سنتوّج حبنا الطويل منذ دراستنا معاً حتى تم تعيينا مدرسين مساعدين بالكلية .. كانت الأقدار تضعنا دوماً فى درب واحد .. لا يفترق عنا ولا نتفترق عنه ولا يفْرِقنا عن بعضنا

توقفت ألتقط أنفاسى اللاهثة بعدما وصلت أخيرا للطابق المنشود .. ها هى ذى انتهت من إحدى دروسها وإلّتف حولها الطلاب يـ .....

كانت تمازحهم ويمازحونها .. كم مرة أنهاها عن المزاح مع الطلاب دوناً عن الطالبات لا سيما أنها كررتها من قبل مع أحد الزملاء .. فكرت هذه اللحظة فى التراجع عن المفاجأة التى أعددتها .. ولكنها لم تمهلنى الفرصة الكافية .. كالعادة بادرتنى مندفعة نحوى فى ترحاب بلقائى واستفسرت عن سبب غضبى المنعقد الحاجبين :

- ماذا بك ؟

- كم من المرات أنهاكِ عن المزاح مع الشباب ولكنك لا تنفكى عن إثارة غضبى .. يبدو أنكِ تحرصين على إجباري بإتخاذ قرار قد تندمي عليه يوماً ما

يبدو أنها لم تسمع أو تهتم البتة بتذمرى وتبرمى من فعلتها .. كانت تسترق النظر لشىء ما فى يدى قبل أن تخطف العلبة التى نسيت أمرها لحظة .. ولم تكد تفتحها حتى أخذت تنادى على زميلاتها فى سعادة عارضة عليهن الدبلتين وعلى إثرها .. تلقينا التهانى والمباركات بالمناسبة السعيدة .. فلم يكن أمامى خياراً إلا أن ابتسم فى إرتباك من هذه المباغتة .. وتبطأت ذراعى وهى تهمس لى :

- هل تظن أنك تستطيع الفكاك منى .. هذا بُعدك.

***

قاطعتنى ضحكة "وليد" الهادئة غامزا بإحدى عينيه فى خبث :

- يبدو أن أمى كانت أكثر حذاقة منك يا أبي.
- نعم هى كذلك .. ولكن لا تتسرع دعني أكمل لك
- كلي آذان صاغية.

***

بعد زواجنا بعام حصلنا معاً على درجة الماجستير قبل أن أعلم أنها حبلى بك .. وقتها أدركت أن المسئولية بلغت الحد الكافى لأتوقف عن اكمال رسالة الدكتوراة التى أوشكت على الإنتهاء منها .. وأخترت أن أعاني مشقة الغربة لتأمين مستقبل هذه الأسرة .. وسافرت مرة هنا ومرة هناك لا تنقطع رسائلى عنكم ..

ومن المفاجآت السارة التى وردتنى بالخطابات .. حصولها على درجة الدكتوراة الفخرية - لم تخبرنى من قبل أن فى نيتها إعداد رسالة الدكتوراة!! - لم يشغل عقلى هذا الخاطر أكثر مما كان يشغلنى العودة بعد خمس سنوات من العناء والشقاء والاكتفاء بما حصدته واستغلاله فى إحدى المشاريع مع أحد الأصدقاء .. أرغب الاستقرار فى دفىء أسرتى ..

- **حرصت على شد انتباه "وليد" عند هذه النقطة.**

عُدت أخيراً .. وفى إحدى الليالى كنت أبحث فى المكتبة عن كتاب لحل معضلة تسبب عرقلة لتنفيذ مشروعى المرتقب .. ووجدت هذا الملف.

إنها رسالة الدكتوراة التى حصلت عليها الدكتورة .. يبدو وكأن أحدهم تعمد إخفائه عن الأنظار .. أصابنى الفضول لقراءته .. وقرأته .. وكانت المفاجأة ..

كل عنوان وكلمة وملاحظة وتنويه .. طبق الأصل من رسالتى المجهضة!! .. نعم طبق الأصل!! .. هل اختلست مجهودى؟! .. ما كنت لأبخل عليها به .. لماذا لم تخبرنى برغبتها فى الاستعانة برسالتى؟ .. أو متى ستخبرنى؟ لقد مر عامان دون أن تتطرق لهذا الحديث! ولو من بعيد ..

كان هناك شىء قاسى يتوغل فى صدرى .. وغصة لا تفارق حلقى الجاف .. كانت تعترينى رغبة عارمة فى الانفصال عنها .. ولكنى لم أفعل .. كل هذا من أجل ألا تنهار أسرتى وأكون السبب المشارك فى ضياع الطفل الوحيد الذى أنعم الله به علينا ..

لذا لم أملك غير الصبر ثم الصبر .. لم تكتفى بمالى وصحتى فقط .. بل وعلمى أيضاً.. لعلها يوماً ما تصارحنى بفعلتها الشائنة فتذهب عنى هذه المرارة القاتلة .. هكذا أُمنى نفسى بهذا الأمل .. وطال غياب هذا الأمل .. بل انقطع الأمل نهائياً .. وانقطع معه حب ووفاء سنوات عجاف ..

****

- أعتقد أنك كبرت بما يكفى .. لتحررنى من هذا المقت الذى أصابنى بالشيب .. فلتغفر لى يا ولدى .. لم أعد أقوى على تحمل هذا السر المخزى بعد الآن ..

لقد حان الوقت ليستريح صدرى من سرطان لا يرحم .. وأنفذ قرارى الذى أبْيِت التهور فيه مبكراً .. لكنه كاد أن يفتك بى ..

.. فأرجو ان تُعيننى عليه

ولم يتمالك الشاب نفسه من البكاء ....

رجوع للفهرس

عنصر مشع

ترجل من هذه السيارة السوداء الفارهة التى لا تتناسب مع الأبنية المدمرة والطرق المبتورة .. والصمت القاتل .. الذى لا يقطعه إلا صوت انفجارات بعيدة .. ينتج عنها أحيانا غبار متناثر .. ينتشر سريعا ويأبى أن يتوارى عن الأنظار بنفس السرعة .. فتجد الشمس صعوبة فى إرسال أشعتها عبر هذه الغيمة الكثيفة ..

انطلق فى خطوات واثقة قبل أن يتلفت حوله أكثر من مرة ليتأكد من أن أحدا لا يشاهده أو يتتبعه .. وتحرك بين الأنقاض والحطام فى خفة رغم بلوغه العقد الخامس من عمره .. يعرف طريقه جيداً ويعلم أنه لا يجوز ضل الطريق .. مثلما لا يجوز إضاعة المزيد من الوقت.

توقف أمام باب عتيق لمبنى صغير نال منه الدمار قدر لا بأس به .. أطرق عليه بضع طرقات .. وانتظر .. غلاف من السكون يرعى هذه اللحظات .. ثم تحرك الباب .. تحرك فى صرير معبد رومانى من الزمن السحيق ..

بنفس الخطوات الواثقة دلف بها من الباب ليعبر ممر طويل انتهى بحجرة واسعة تتوسطها طاولة خشبية مبعثر عليها بعض الأوراق والخرائط .. ويحاصرها هؤلاء الثلاثة بمقاعدهم .. ملامحهم شرقية عربية خالصة .. بالأخص إنهم يتشاركون نفس الشارب .. وكأنه مستعار ! .. إلا أن أحدهم

يتميز بصلعة عريضة .. وآخر بزى عسكرى غنى بالنياشين .. وثالث فى زى بدوى متجهم الوجه عاقداً حاجبيه على وجهه .. وذراعية على صدره.

إتخذ الوافد عليهم مقعداً قبل أن يشبك اصابع يديه مستندا على المائدة .. لحظات أخرى من الصمت .. ولحظات ترقب وريبة يكنها كل منهم للآخر! .. ترى من يقطع هذه اللحظات؟

فعلها الأصلع وهو يشير بورقة فى يده قائلاً : هذا تقرير من إدارتنا يفيد بوجود إختراق أمنى مصدره المخابرات المصرية.

الوافد بهدوء : لا نثق فى تقارير أحد.

ذو النياشين : بمن تثقوا إذن .. إسرائيل ؟

الوافد بنظرة جانبية : لسنا مثلكم.

ذو النياشين بغضب : نحن لسنا خونة.

الوافد : حقاً !

البدوى باسطاً كفيه على المائدة : تقاريرنا متطابقة .. يوجد عنصر مشع يسيل لعابه بالمعلومات من جهازكم.

الوافد يلتفت إليه : لقد أعترف جاسوسكم.

صاعقة أصابت البدوى تراجع على إثرها فى عنف مرددا : جاسوسنا !

الوافد : نعم جاسوسكم الذى زرعتموه فى المخابرات المصرية .. الشقيقة

ضغط على كلمته الأخيرة قبل أن يبادره الأصلع : لا تحاول أن تمارس علينا لعبة (البارانويا) "العظمة والتشكيك فى الآخرين" .. أنت تدرك أن لديك خلل أمنى واضح بفضله قام ما يسمى (الربيع العربى) .. يجب أن تعترف بأنكم السبب فيما نعانيه الآن.

ذو النياشين مؤيداً : نعم .. لولا نجاح هذه الثورة فى "مصر" .. ما انتشر هذا الربيع انتشار النار فى الهشيم.

نظر الوافد إلى البدوى ينتظر منه كلمة أخيرة إلا أنه انزوى صامتاً بعد الإتهام الأخير .. وكأن أى كلمة أخرى ينطقها تضيف عاراً جديداً عليه .. فحفظ ما تبقى من ماء الوجهه بإلتزام الصمت فى خزى واضح.

لذا نهض الوافد عاقداً يده خلف ظهره وهو يتحرك حولهم ببطء تسمعه فى صكات كعب حذائه ونبرة صوته الرخيم : كلنا على يقين أنها مؤامرة كبرى تستهدف المنطقة بأكملها .. وما كانت تنتظر تقصير أمنى لتلقى هذه المؤامرة ظلالها على أهدافها .. بل إن صداها وسبل تناولها فى

الإعلام أصاب الأنظمة الأمنية فى بعض الدول الغربية بالاضطراب والحيرة .. ولم يستطيعوا مراعاة حقوق الانسان فى إخماد الثورات التى فاجأتهم .. على غرار ما حدث فى عالمنا العربى .. مثل "بريطانيا" و"أمريكا" و"إسرائيل" نفسها "حقيقة" .. وبالتالى ارتبكت حسابات أعتى أجهزة المخابرات أمام تطور الأحداث الغير مسبوقة، ولكننا تداركنا أمرنا مبكراً وأنجحنا الثورة.

عقد الحضور حواجبهم فى تساؤل قبل أن يستطرد الوافد : كنا على علم بما سيحدث .. إلا أن تردى الأوضاع الداخلية لم يسعفنا من التصدى للتيار العنيف .. فتركناه يمر مرور الكرام على الطريقة الرومانية "قامت الثورة الرومانية ضد شاوشيسكو 1989 وإدعى الجيش حماية الثورة لتنجح الثورة المضادة فى الالتفاف حول الارادة الشعبية وإخمادها بأحزاب بديلة"

الأصلع فى ضجر : ولكنكم تهددون مصالحنا جميعاً بهذه المغامرة المفضوحة.

الوافد يلتفت إليه فى نظرة صارمة : وليس بالعنف دوماً نقابل احتقان العامة .. واليوم اجتمعت بكم لإنهاء هذه المهزلة الغبية التى تطورت إلى حرب شوارع بطريقة غير مدروسة.

- هُراء ...

أطلقها ذو النياشين وقبضة يده ترتطم بالطاولة فى عنف متابعاً : هذه المهزلة تستند إلى معلومات حيوية .. يتلقاها هؤلاء الغوغائيون تفيد بأهداف وتضاريس لا يمكن أن تتسرب الا من جهاز المخابرات المصرية نسبة لخبراتكم المستقاة إبان الوحدة (المصرية السورية) "1958-1961" .. بل إنها تتدفق من منصب رفيع في جهازكم المخترق.

الوافد يقابله بهدوء مستفز : أعطنى دليل واحد يثبت صحة هذه الخرافات.

لم يجيبه إلا الصمت فأردف متابعاً : ولكنى أملك الدليل على تورطك مع "الموساد" فى اللقاء الأخير

نهض ذو النياشين فى عصبية هائلة هاتفاً وقد ازداد وجهه احمراراً: هل تتهمنى بالعمالة ؟ .. لن أسمح لك بالتط.....

قاطعه أزيز يقترب بالخارج .. تحول مع اقترابه إلى هدير واضح قبل أن يتسائل الوافد لأول مرة فى لهجة غير واثقة : إنهما طائرتا أباتشى .. لماذا أرسلوهما ؟

الأصلع فى توتر : من تقصد ؟

جاوبهما صوت صاروخين انطلقا من الطائرتين نحو المبنى المستهدف .. ثم تبعهما صاروخين مثلهما ليسويا المبانى بالأرض.

- تم التنفيذ بنجاح .. هل من أوامر أخرى.

جاوب قائد إحدى الطائرتين طرف آخر على جهاز الإرسال فى غلظة : أرسل فريق لانتشال الجثث والعودة إلى القاعدة فوراً.

- عُلم وجارى التنفيذ

ظهر الإرتياح على وجه مُصدر الأوامر وهو يتراجع على كرسيه محدثاً نفسه فى ثقة : كان يجب تصفيتهم .. فقد كُشف أمرهم جميعاً .. وجاء وقت تنشيط الخلايا النائمة.

قالها وهو يتطلع إلى العلم الصغير الذى يرتكز على مكتبه ... علم إسرائيل ... رجوع للفهرس

صورة

من يوم أن رأيتها وأنفاسى تلهث للقائها من جديد .. فاللقاء الأول هو الذى جعل شرايين قلبى كأسلاك دقيقة سرى فيها تيار عنيف من برق صاعق .. يقشعر له جسدى كلما تذكرتها .. فلم يبقى فى عقلى غير سؤال واحد .. كيف لى أن أراها مرة أخرى .. وأخرى .. وأخرى ؟ .. ولا تفارقنى أبداً .. أريدها دائما تحتل حدقتا عيناى الفارغتان .. كلما اشتهيت لوجهها انظر متعطشاً .. متوسلاً .. لافتراس ملامحها فى شغف .. أريد أن أرسمها بقلم حبره لا يزول .. سنه يشق خلايا عقلى لتبزغ صورتك الناطقة بصمت الحياة .. ولكنى لا أملك فن النحت .. ولا أتعامل بأدواته .. فما يبقى لى غير صورة .. نعم صورة.

يجب أن أحصل على صورة لها .. صورتها هى الحل.

وبالفعل استطعت أن أراها مرة أخرى .. كان لقاءً حارا للغاية .. فلم أشح بوجهى عنها حتى طلبت منها صورة فوتوغرافية لها حتى تؤنس وحدتى وغربتى أثناء أدائى الخدمة العسكرية .. نظرت إلىّ وعلى وجهها ارتسمت بسمة طفلة .. ترتشف كوب من الحليب وعلى هامش شفتيها خط رفيع منه .. وعلى وجهى بسمة رجاء لطفل يطلب رشفة من كوبها فى أدب .. وبالفعل منحتنى الرشفة .. أو الصورة من حقيبتها الأنيقة .. منحتها لى فى خجل أنثوى يصطحبه بعض الدلال الذى يحترق له أعضائى

.. وما أن وجدت صورتها الرائعة فى يدى حتى جعلت أتأملها فى فرح بالغ شعرت معه بالراحة تسرى بين أضلاعى وتعجبت هى لمدى سعادتى.

لو حملت قلبها بين يدى وهمست به ما كنت سأهمس له كما فعلت مع الصورة قبل أن احتضنها وأواريها عن الأنظار وعن عينيها المتسائلة فى حيرة

- هل كان فى حاجة ملحة لصورتى؟!

لم تجد جوابا لسؤالها فقد تركتها وانطلقت فى عجلة من أمرى .. دون حتى وعد بلقاء قريب

ومرت أياما وليالى وأنا لم يشغلنى شاغل غير الصورة .. أتأملها كلما رغبت برؤيتها .. أخيراً حبيبتى فى حوزتى .. مالى أبذل عناءً وأحمل نفسى شقاءً وقد ربحت الدنيا وما فيها.

افقت من خيالى إثر طرقات ناعمة على بابى .. كانت هى حبيبتى الكائنة فى صورتى .. جاءت وعلى وجهها علامات القلق وقد انهالت علىّ بالتساؤلات عن صحتى وأحوالى وعما أصابنى .. وسبب غيبتى

أجبتها فى هدوء بأن لا شىء سيىء يدعو للقلق .. رفعت حاجبيها فى استفسار مدهوش .. وفى لحظة تحولت علامات القلق على وجهها إلى إحدى علامات يوم القيامة

نظرت حولها ففوجئت بصورتها تتزين أضلاع وزوايا شقتى الصغيرة .. تعددت الأسئلة فى عقلها .. لماذا؟ .. كيف؟ .. أين؟ .. فلما حارت أسئلتها بين شفتيها .. عقدت حاجبيها فى غيرة وغضب .. قبل أن تعصب ذراعيها على صدرها وتميل برأسها جانبا عاجزة عن النطق.

- مارأيك ؟

حاولت ان أفسر لها ما حدث بسؤالى .. ولكن يبدو أنها لم تفهم.

- وجدت أن صورتك ستكون سلواى فى غربتى وعزلتى .. فجعلت منها فى حياتى جنتى

لم أعلم أن قولى سيثيرها ولكنه فعل فعلته .. فدارت حول نفسها نصف دورة تناسب نحافتها .. ثم انطلقت تعصف بالفراغ وبالباب فى آن واحد .. واختفت .. وتركتنى اتأمل باب الشقة المعصوف به فى حيرة .. واقتربت أمسح بأناملى ملامحها على صورتها التى ألصقتها بظهر الباب وأنا أتسائل ..

- كل هذا من أجل صورة !! .. صدقينى لولا أنتِ ما كانت الصورة ستصبح .. معشوقتى

رجوع للفهرس

إذن هى الحرب

أخى الصغير .. هو صغير فى كل شىء .. جسده النحيل يلقلق فى ثيابه الواسعة .. أنفه الأفطس يتوسط وجه الطفولى .. لسانه اللاذع وهو الأشهر به فى حارتنا الضيقة .. دلف غرفتنا يزفر فى ضيق راكلاً حذائه من قدمه حتى كاد أن يترك بصمته على وجهى الكبير .. نعم أنا الكبير مثل وجهى وعقلى .. ففى المنزل يطلقون علىً (العاقل) .. وفى الحارة يطلقون علىً (العلاّمة) .. نظراً لتعقلى فى كل شىء حتى أصبح لقبى من باب السخرية نظراً لتناولى أى موضوع بلسان الفصحى .. فأنا لا أتحدث إلا بالفصحى حباً واعتزازا بلغتى العربية المنسية إلا على منابر المساجد والسياسة .. هكذا وجدت أن رسالتى فى الحياة الحفاظ على هويتى وهوية هذا البيت وهذه الحارة الواقعة بين أزقة العقاد ومحفوظ والحكيم .. ولم أدرك أن رسالتى تبدأ من حيث مشاكل أخى التى لا تنتهى .. ولكن هذه المرة يأس أخى من حلوله التقليدية وقرر أن يجعل منى مستشاراً لأزمته العاجلة .. يبدو أنه تشاجر مع أحدهم فلا استبعد البتة أن يكون هو الراعى الرسمى للضجيج الذى أصابنى بالصمم منذ قليل قبل أن يلقى الهزيمة المُرة على يد أحد المنخرطين فى ذمرة الحشاشين الملاعين أو عصبة سائقين التكاتك أو ثُلة من العاطلين عن العلم والعمل .. ولكن يبدو

أن حدسى ضل طريقه هذه المرة عندما أخبرنى أنه فى مواجهة مضنية مع ثلاثة أفراد ! .. وكيل نيابة .. ورجل أعمال .. وداعية إسلامى !

- وما علاقتك بهؤلاء ؟! .. وأنت مجرد عامل بسيط بمصنع للغزل والنسيج ؟
- دول يا سيدى عنيهم من (دنيا) بنت الاسطى (طنطاوى) .. بحبها أوى وحموت لو خطفوها منى
- نجلة (طنطاوى) سائق الميكروباص! .. ألم تنتهى بعد من مغازلة شباب الحارة ؟
- لأ وربنا .. هما اللى بيجروا وراها .. عارفين قيمتها
- وهل تستمد قيمتها من سلبها عقول البشر ودعوتها للتناحر عليها ؟!
- وإنت إيش فهمك فى الحب وعشق العشاق .. خليك مدفون فى كتب التاريخ والفلسفة بتاعتك
- وهل تحبك قدر حبك لها؟

- مش عارف .. مرة تبقى راضية عنى وابقى عايز اتمرمغ تحت رجليها .. ومرة متعبرنيش بنظرة وتخلينى ألعن اليوم اللى شوفتها فيه .. بس أنا برضه بحبها بطريقة مجنونة .. أنت مشوفتش عنيها الدوبلى وشفايفها البرقوقى وخطوتها الفتاكة ولا ضحكتها .. أقولك إيه ياآه ياآه

شردت فى كلامه لحظة ابحث بين ثنايا عقلى عن مثال لحالة أخى العاطفية عبر التاريخ .. فتذكرت قصة (تاجوج والمحلق) عندما تزوج (المحلق) بأجمل النساء فى إحدى قبائل العرب وهى ابنة خاله (تاجوج) .. كلفه الزواج مهراً غالياً ليلجم فاه خاله الذى كان معارضاً فى البداية لهذه الزيجة .. قبل أن يصبحا أسعد زوجين عرفتهما القبيلة ورغم ذلك لم يتوقف عن مدحها وذكرها حديثاً أو شعراً فى جمالها ومحاسنها حتى صارت غناء ومضغة شباب القبيلة .. فبلغ منه الجنون بها درجة اللوثة .. فقد أراد أن يبرر سبب شعره الذى لا يتوقف فيه عن ذكر محاسنها .. فأصطحب معه فى الخفاء أحد شباب القبيلة ليريه رقص زوجته له ومدى رشاقتها وجمالها الخلاب .. إلا أنها فهمت ما يخفيه وأدركت أنه تخطى حد الجنون فطلبت الطلاق .. وهنا خسر (المحلق) حبه ولبه معاً.

- قصدك يعنى إنى أسبلها وبلاش أبين إنى مرمى عليها ؟

- يقول شكسبير "ثلاثة انتبه منها : الماء والنار والمرأة ..فالماء يُغرِق والنار تُحرِق والمرأة تُسبب الجنون" .. فحبك لمصحة عقلية أقل ضرراً من حبك لإمرأة.

- أنا لو طنشتها ممكن يخطفها حد من التلت غربان .. ساعتها أكون شرفت فى العباسية برضه.

- إذن عليك بالحيلة .. فأنت فى مواجهة السلطة والمال والدين وهى من متطلبات المرأة التى لا تشعر بالأمان الا فى ظل إحدى هذه الصفات .. وهى أيضاً صفات يصعب أن تواجهها معاً .. لذا عليك أن تتحلى بها جميعاً

- إزاى يعنى !!!!!!

- هناك مثل صينى يقول "إن الرجل يعشق من عينيه والمرأة تعشق من أذنيها" .. وأضيف إليك إنها تعشق الغموض والفضول والمفاجآت

- لكن إزاى يعنى أملك سلطة وفلوس ودين فى نفس الوقت؟

- أنت لن تسعى لامتلاك شىء .. اجعلها تتخيل ذلك من خلال حديثك فى رسالة سترسلها لها تذكر فيها .. أنك رأيتها ذات مرة أثناء

خروجك من نادى الشرطة الذى يقع بالقرب من هنا .. وقد تعلق قلبك بنسماتها .. ففكرت أن تقلّها لبيتها بالسيارة .. إلا أنك تعلم أن أخلاقها الدمثة ستمنعها من قبول دعوتك .. فلحقت بالصلاة بالمسجد تتضرع إلى الله ليلهمك الطريق إلى قلبها.

- بس ابقى كده بغشها .. وساعتها مش حتحبنى.

- سأسألك سؤال .. هل ترى نفسك أحق من هؤلاء الثلاثة بها ؟

- طبعاً .. رغم إنى معيش حاجة أزغلل بيها عنيها .. لكن أنا أقدر أتحمل مسؤلية أسرة مستقرة وبشتغل شغلانة حلال وبطيع ربنا على قد ما أقدر .. أنا لو صاحب سلطة كنت حتجوزها عافية وتعيش معايا مغصوبة .. ولو معايا فلوس كتير كنت اشتريها ولما فلوسى تخلص ارميها .. ولو كنت شيخ كنت اتجوزت عليها واحدة والتانية والتالتة .. وكله بما يرضي الله.

- رائع .. إذن فأنت تمنحها الأمان الحقيقى وليس الزائف .. بهذه الرسالة تستطيع أن تطيح بهؤلاء المرابطون لها .. وعندما تظفر بها وتتيقن بحدسها الأنثوى أنك ستمنحها الحب والآمان الحقيقى .. إصدقها القول عما بدر منك من خدعة .. فإن كانت تبغى ذرية

صالحة وجيل يصونها فهى تستحقك وتقبل بك فى سعادة غامرة .. وإن لم تفعل فإنها ما كانت تبغى غير التنعم فى الفساد وتجعل من نفسها ثمن تقايض به كل طماع .. وبذلك فهى لم تكن تستحقك منذ البداية.

- **عندك حق .. لما أروح أعمل زى ما قولت يا (علاّمة)**

ذهب الصغير فى محاولة ليحقق حلمه .. وما كان تحقيق الأحلام بالتمنى .. وما كانت بالعمل .. ولكن بالمقايضة .. أعطنى شيئاً يحقق حلمى .. حتى ولو كان بسيطاً فلا يجوز أن تحلم بأن تتنفس أو تأكل أو تنام .. فكل هذه الحقوق مسلمات .. إلا أنه أصعب أنواع الأحلام هو أن تحققها وأنت لا تشعر بالأمان

بعد يومين عاد الصغير وعلى وجهه حلم لم يتحقق .. وعلى لسانه سخط وضيق .. وعلى كاهله خيبة أمل عظيمة.

- **ماذا بك؟ .. ماذا حدث؟**
- **إتجوزت ظابط جيش ؟**
- **ماذا؟! .. متى اقحم نفسه فى هذه القضية ؟**

- النهاردة بس .. دخل عليها بالبدلة الميرى وبرز عضلاته زى الفتوات ودخل قعد كإنه صاحب البيت وراح مطلّع الشبكة بدون مقدمات ورفع إيده يقرى الفاتحة.

- و(دنيا) ماذا كان ردها ؟

- قالت (آمين) بعد ما خلص.

كان عنصر القوة هو العنصر الوحيد القادر على تسخير السلطة .. وحيازة المال .. وإرغام الدين .. هو العنصر القاتل لكل إحساس بالآمان وبالتالى احتضار أى حلم على عتبات حلبة الصراع.

- أنا مسافر .. مهاجر .. مينفعش أعيش هنا إلا ومعايا حاجة أحقق بيها حلمى .. أنا رايح أجيب فلوس .. مش مهم إزاى .. المهم أعرف اشترى (دنيا) اللى متعرفش إلا لغة هات وخد .. وممكن كمان هات من غير خد.

- يقول (فولتير) : خبز الوطن خير من كعك الغربة.

- كفاية بقى حكم ومواعظ وتاريخ وفلسفة وحب ووطن .. انت بتتكلم عن حياة مثالية .. والواقع مش بيتكلم عن الحياة .. الواقع بيقتل

اللى معهوش حاجة يدافع بيها عن نفسه .. وأنا مش معايا غير أمل .. مش عايزه يموت معايا هنا.

لم أملك أن أمنعه .. فهو يحاول أن ينقذ ما يستحق إنقاذه .. حقه فى الحياة .. فليست (دنيا) هى كل الدنيا .. وإن كانت أجمل ما فيها.

- **بالمناسبة يا أخى .. لم تذكر لى إسم هذا الضابط الذى قتل أحلامكم؟**
- **إسمه "عبفتاح" .. "عبفتاح"**

وأعد حقائبه استعداداً للرحيل ...

رجوع للفهرس

طفل فى جلباب

رأيته يأتى من قلب الظلام يخترقه فى جلبابه الأبيض .. بين جنبات هذا الطريق المقفر على أطراف المدينة فى ذلك الوقت المتأخر من الليل .. إتجهت اليه مشدوها استفسر عن سبب تواجده فى هذا المكان وفى هذا التوقيت المخيف .. وعندما اقتربت منه بدأ يسرع الخطى نحوى .. وفجأة .. إختفى من أمامى .. فبحثت عنه فلم أجده وعندما التفت خلفى ظهر أمامى فجأة مرة أخرى كما اختفى ! ..

دققت النظر فى ملامحه التى كانت تستغيث فى معاناة .. لم أعرف ما هى معاناته .. لذا اقتربت منه أكثر .. وأسرعت الخطى نحوه .. وفى المقابل .. وجدته يسرع الخطى نحوى بدوره .. وهو يلوح بيده وكأنه يطارده شيئاً ما .. استشعرت بالخطر تجاهه رغم أنى لم أسمع صراخه فتحول عدوى ركضاً لمساعدته وهو ما زال يشير إلىّ بذعر أكبر .. وفجأة .. سقط .. نعم سقط فيما يشبه بئر من الآبار .. وهنا سمعت صراخه يختفى خلف عمق ظلام البئر.

جف حلقى .. وتثلجت قدماى .. جاذبية الأرض تمركزت ضغوطها القاسية على صدرى .. واستيقظت .. نهضت وأنا ألهث من فرط الهول الذى يصيبنى به هذا الحلم مراراً وتكراراً .. حتى جف ريقى من فرط غلبة الخوف .. كنت على دراية بهذا المكان المقفر وترددت فى الذهاب إليه

ولكنى سئمت هذا التردد .. ربما سألقى حتفى جراء هذا الكابوس المكدر لصفو حياتى ..

- طالما سألقى حتفى على أية حال .. فمما الخوف إذن ؟!

قررت أن أنهى هذا التردد فوراً .. غيرت ملابسي وقصدت هذا الشارع المقفر .. هو بهيئته .. بظلامه المقيت .. بعدد أنفاسى التى أشعر بها يومياً .. بالإضافة إلى دقات فؤادى تنذرنى بالبداية .. بداية الكابوس.

راودتنى فكرة التراجع عن هذا العمل .. فأنا أوقع نفسى فريسة للفزع .. وألقى بها الى التهلكة لا محالة .. توقفت وقررت ان اتراجع .. واذا بالطفل يظهر فجأة .. كما يظهر فى الكابوس .. حسم ظهور الطفل أمرى ..فتراجعت عن تراجعى

بدت خطواته الصغيرة تحرك سكون جلبابه الأبيض .. حاولت أن أتفرس ملامحه .. يبدو أنه مطرق الذهن لا يأبه بأحد .. فلا يعير غير الأرض التى تطأها قدماه اهتماماً .. فجأة .. تذكرت الحلم .. والبئر العميق المظلم الذى سيسقط فيه الطفل .. فأنطلقت لأدركه قبل حدوث الكارثة .. شعر بخطواتى فرفع رأسه ينظر لى .. وقد بدأت تتضح ملامحه الصغيرة التى انقلبت الى فزع .. نفس المشهد الذى يراوضنى فى الحلم .. فتحولت

خطواتى إلى عدو بين هلامات الظلام .. فألفيته يركض نحوى ملوحاً بيديه طلباً للنجدة

- توقف .. احترس من البئـــــ.....

فجأة انقطع حبل صوتى .. واختفى الطفل والشارع بأكمله من أمامى .. ليحل بدلاً منهم الظلام الحالك .. وسمعت صوت الطفل وهو يبكى ويصرخ طالباً للنجدة.

لقد تمكن الحلم منا بالفعل .. ولكن هناك اختلاف غريب .. يخيل لى أن صوت الطفل وصراخه يأتينى من أعلى !

نعم .. من أعلى البئر .. وبدأت الآلام تكتنف جسدى المعتصر

فى قاع البئر ...

رجوع للفهرس

السـراب

سائر فى طريقى .. اندب حظى العسر على عدم حصولى على الإعارة المدرسية للعام الثانى على التوالى .. فأنا مدرس بالمرحلة الإعدادية وكدت أن اختير ضمن المجموعة التى ستذهب إلى الإعارة بإحدى الدول العربية ولكن بقى سنى الصغير يحول دون اقتناص الفرصة التى لا تأتى إلا مرة واحدة .. رغم كفائتى التى فرضت نفسها على الجميع فى فترة وجيزة إلا أن هناك اعتبارات الأقدمية تفرض نفسها على الكفاءات.

شردت أتخيل فى وقت ما خضع الحظ لى وأبتسم أخيراً .. فأسافر وأعمل بجد وأحقق نجاح يغدقنى بالأموال .. ملكنى شعور جارف عند هذه اللحظة .. يا له من حلم صعب المنال

انطلقت منى زفرة حارة وأنا أركل الحجارة بقدمى فى نفس الوقت إلتقتت عينى شىء ما يسقط عبر الفراغ أمامى ليستقر تحت أقدامى .. وبحركة غريزية تراجعت خطوة إلى الوراء قبل أن يطمئن قلبى بعد خلجته .. إنها زهرة فيوليت جميلة تم قطفها حالاً ! .. إلتفت إلى مصدرها .. من المؤكد أنها سقطت من هذه الشرف الغنية بالزهور المنسقة بطريقة بديعة.

كانت شرفة تطل خلف سور محيط لفيلا تبدو أنها لأحد الاثرياء ولكن لم يكن أحد منهم بالشرفة ! .. هل سقطت بالفعل ؟ أم .. أم ألقيت عن عمد ؟ .. هل تكون فتاة معجبة بى فتجرأت بلفت نظرى ؟ .. ابتسمت ساخراً ..

لست من أعيان القوم أو أكثرهم وسامة .. أهى دعابة سخيفة من إحدى الطلاب الأشقياء ؟ .. من منهم يجرؤ على ذلك؟ .. أم أن هذه الزهرة ألقيت بمحض الصدفة؟؟

أكملت سيرى وأنا فى حيرة من أمرى وصلت منزلى فى إحدى الأحياء القديمة وأنا ما زلت شارداً فى أمرها .. الفتاة .. لابد أنها فتاة ألقت بهذه الرسالة ولابد أنها فتاة جميلة تهتم بالأزهار .. لالا .. لا تجرفك أحلامك وخيبة أملك إلى أوهام وخيالات .. إنها مجرد زهرة.

- نعم مجرد زهرة

قلتها ووضعت رأسى على الوسادة أتوسل للنوم ألا يضل طريقه إلى عيناى .. التى لم تقتنع بقولى السابق .. إنها مجرد زهرة.

ذهبت إلى المدرسة فى اليوم التالى وحاولت نسيان هذا الأمر ولكن يبدو أن محاولتى باءت بالفشل .. ماذا لو كانت هذه الزهرة قدر يُخلف ورائه أمل ما قد يتحقق؟ .. ماذا لو كانت هناك فتاة بادرت بإلقاء هذه الزهرة وتنتظر من استجابة؟ .. هل أخيب ظنها ويخيب ظنى قبلها؟

- لا .. فلن يخيب ظنى حتماً

وعزمت على إيمانى هذا .. فى الليل المظلم الخالى من ضوء القمر وعبر سكون هذا الشارع الذى أخذ يتأملنى فى تعجب وأنا أكرر زيارته لليوم الثانى على التوالى .. وصلت إلى نفس المكان وانتظرت أمام واجهة الفيلا فى الجهة الأخرى المقابلة من الشارع منتظراً فى لهفة صاحبة الزهرة الياقوتة كما سأطلق عليها .. كان مصباح الشرفة مطفىء ولكن الغرفة مضاءة.

- ربما تضىء الشرفة وتخرج

ما هذا ؟ .. أقسم انى لست بالساحر (هودينى) .. فلم أكد انتهى من أمنيتى إلا وأُضيئت الشرفة وخرجت .. نعم خرجت .. وكأنى انتزعت عنى كسوة جلدى من كم العرق الذى انتابنى .. ثم غمرنى دلو من الماء المثلج فى أقسى ليالى الشتاء .. فقد كانت هى الفتاة .. لقد اخطأت بشأن الزهرة .. فإنها لم تلقها من أوعية الزهور المتراصة على الشرفة بل قطفت الياقوتة من بستان جمالها الآخاذ فلم ينقص من سحرها شىء .. بل زادها ذلك رونق الملكات .. وزادنى بها تعلقاً فأصبحت مثل المجذوب .. لا ألوى على شىء غير النظر إليها .. وأحلق بأجنحتى حولها فى الجنة .. نعم ها هى الجنة تفتح أبوابها .. ويجب أن أقبل الهدية وأتقدم أطرق أرجائها .. وقبل أن أتخذ أى خطوة .. نظرت إلىّ .. ثم دنت منها حركة بدت وكأنها

سعيدة .. فلوحت بيدهاوأشارت إلىّ بفرحة غامرة .. حاولت أن أتماسك قبل أن أخترق الأسوار بصدرى وأقفز على شرفتها كما يفعل الخارقون .. ونجحت وتماسكت قبل أن أفعلها .. أجبتها بإشارة مماثلة من يدى المرتعشة .. حدثتنى بلغة الأيدى فى حركات غامضة يئست فى حل طلاسمها .. ويبدو أنها فهمت عجزى عن إدراك المغزى .. فدخلت غرفتها .. فانتفض جسدى صارخاً .. لاتذهبى .. انتظرت أن تطفىء الأنوار وبذلك ينتهى أمرى .. ولكنها عادت وبيدها ورقة صغيرة طوتها .. ثم ألقت بها لتعبر السور الصغير وتستقر فى منتصف الطريق .. إلتقطها وعدت أدراجى مسرعاً أسفل عمود الإنارة أقرأ الرسالة.

- اتصل بى غداً فى نفس الميعاد .. سأكون بإنتظارك .. مع قبلاتى

إلتفت إليها فوجدتها تلقى إلىّ بقبلة فى الهواء .. فأجبتها بالمثل .. ثم دلفت لغرفتها وأطفئت الأنوار

إنه المال والجمال يتدفقان فى آن واحد .. فقد حان الوقت الذى أتوج بهما نفسى لأصبح من أثرياء القوم .. ليس بإعارة فى الخليج ولا ترقيات بالعمل .. بل سأتحول من مجرد مدرس إلى صاحب مدرسة خاصة أديرها كما أشاء وكيف أشاء .. إنه حلمى العسير يثب نحوى فى خطوة واحدة .. نعم نجاحى يتحقق اليوم .. بل الغد .. بمكالمة هاتفية فى نفس الميعاد.

- مكالمة هاتفية ! .. ولكنى لا أعلم رقم الهاتف!

فحصت ورقتها البيضاء .. إنها خالية من أية أرقام .. ربما غفلت أمر الهاتف .. لا بأس سأحاول أن أتقصى عن الرقم من الحارس .. وبالفعل ذهب اليوم التالى فى فترة ما بعد الظهيرة انتظر ظهور الحارس .. إلا أن سيارة ألمانية الصنع توقفت أمام البوابة وترجلت منها الفتاة .. هذه فرصة لن تتكرر للقائها والتحدث إليها .. اعترضت طريقها بطريقة كلاسيكية حتى لا ألفت الانتباه .. فإلتفتت الىّ فى تساؤل .. ربما تتسائل عن سبب مجيئى فى وقت غير المتفق عليه .. ابتسمت لها وأنا أعرّفها بنفسى .. ما هذا الغباء؟ .. بالتأكيد هى على علم بكل شىء عنى أيها الأبله .. ولكنى وجدت تساؤلها يتطور إلى جدية .. فقررت أن أذكرها بنفسى

- كنت اقف فى هذه البقعة أمس .. أسفل عمود الإنارة .. وحادثتك وحادثتينى .....

وكلما استرسلت بالحديث عن ذكريات الأمس كلما عظمت دهشتها وكأنى أتكلم عن الغد!! .. لا بد أن ذاكرتها سمكية إلى حد بعيد .. فأخرجت لها من طيات ثيابى الورقة البيضاء .. فشهقت وهى تخطفها من يدى .. يبدو أنها تذكرت الآن .. قرأت الورقة بعينين ذائغتين قبل أن تحدق بى

وتتفحصنى من منبت شعرى إلى أخمص قدمى وهى تخفى فمها المنفرج بيدها فى مشهد مضحك .. ولكن لا وقت للضحك والسخرية

- ما الأمر ؟!

لم تجبنى ولكنها سحبت يدى وانطلقت بى إلى داخل الفيلا مثلما تفعل الأمهات بإحدى أبنائها وقد ارتكب كارثة كبرى .. ثم اجلستنى وهى تتعثر فى كلماتها القاتلة .. لقد ظنت أنى عشيقها يعبث معها عبثه المعتاد أسفل عمود الإنارة الذى كنت أستند عليه .. فبدوت وكأنى حبيبها فى قوامى وهيئتى الظلماء فى ظل الضوء الخافت.

أطرقت أحدق بالفراغ الذى فرض نفسه مكان الجنة المفروشة بالزهور اليانعة .. نعم الزهرة .. الياقوتة

- ماذا عن الياقوتة؟
- أى ياقوتة؟
- أقصد الزهرة الفيوليت التى سقطت علىّ منذ يومين من شرفتك.

عقدت حاجبيها قبل أن تتذكر بإبتسامة تهكمية .. إنها بالفعل صاحبة الزهرة ولكنها ألقتها دون أى قصد إطلاقاً.

وبذلك عدت إلى بيت القصيد .. فالحلم واقع .. يمكن تحقيقه .. أما الخيال وهم .. لا يمكن تصديقه

وإلا هلكت لا محالة ...

رجوع للفهرس

تسعيناتى

تسعيناتى أول

فركت عينى إثر ذلك الضجيج الذى اقتحم أذنى وشددت أطرافى فى كسل قبل أن أترجل عن فراشى وخرجت من حجرتى أنظر لصوت التلفاز العالى .. كانت هذه السيدة تتربع على الأريكة فى اهتمام شديد لذلك الرعد المدوى الصادر من التلفاز وهى تتناول بعض حبات السودانى فى شراهة

فركت عينى مرة أخرى فصدمتنى تلك الفتاة الصغيرة التى ركضت نحو السيدة ترجوها بأن تتركها تلعب مع بنات الجيران مثل أخيها "أحمد" .. إلا أن السيدة "أم أحمد" نهرتها بعنف :

- معندناش بنات تلعب بره البيت.

زفرت الفتاة وهى تكاد تفتك بالعروسة القطنية بيدها فى غيظ وعادت الى حجرتها وهى ترمقنى بنظرات لم أفهمها .. معظم ما أراه لا أفهمه ..

طرقات خشنة على باب الشقة فتركض الفتاة مسرعة لتفتح بفرحة لرجل طويل عريض على وجهه شارب أقرب وصف له هو أيضاً طويل عريض .. أعتقد أنه السبب فى انحناء ظهره مبكراً .. ألقى التحية على "أم أحمد" وقبّل الفتاة وأخذ يصفق لى عندما رآنى وبسط كفيه لاستقبالى إلا أننى اكتفيت بأن امتعض .. فبطنى كانت تتقلص وتتملص داخلى .. فتراجع

الرجل بشاربه وجلس ينظر للتلفاز بضيق وهو يرمق "أم أحمد" بنظرات جانبية قبل أن يتنحنح قائلاً :

- ما تقلبى على القناة التانية يا "أم احمد" نشوف الفوازير ..
- من فلاحتك أوى عايز تحل الفوازير .. ولا عايز تتفرج على شريهان وهى بتتشقلب يمين وشمال.
- يا ولية عيب عليكى .. يعنى كل الناس بتتفرج على الفوازير عشان يتفرجوا على الشقلبظات!!
- لأ .. عشان يحلوا الفوازير .. (بسخرية)
- طب مفيش حتة كنافة ولا قطايف نرم بيها عضمنا ؟؟
- إنت مش لسة فاطر !!
- فاطر إيه يا وليه !! ... ده إحنا خلاص صلينا التراويح .. خلى عندك دم وسبيكى من لت وعجن المسلسلات اللى مش بتخلص.

وكمان الواد ده سايباه واقف كده ليه؟ .. قومى شوفى عايز ياكل ولا حاجة

تنظر الىّ "أم أحمد" فى تعجب : إنت صحيت إمتى !! .. بت يا "آية" تعالى قلّعى أخوكى وقعديه يعمل حمام.

جاءت "آية" غاضبة :

- يعنى محبوسة فى البيت وكمان اشتغلكوا خدامة ...
- إخرسى يا بت

إعتقدت الفتاة أنى أتلخص فى هذا البنطال الذى سحبته منى مثل ورق الكوتشينة وتركتنى وهرعت مسرعة لغرفتها .. فنظرت لنفسى اتأملنى عارياً ..

وبينما أنا غارقاً فى تأملاتى أسمع الأغنية المفضلة خلال فاصل إعلانى "بيسكت بيسكت .. بيسكت نااااااااو .. شيكولاته جيرسى واكلة الجاااااو .....".

وإذا بأم أحمد تتنازل عن جلستها المعتادة وتنهض لتقلب المحطة مما أثارنى غضباً وكدت أهم بالصراخ بوجهها .. ولكن يبدو أنى لم أكن أقل غضباً من "أبو أحمد" الذى ثار لفعلتها الشنعاء :

- بتقلبى ليه يا ست؟!
- عينيك حيقعوا من وشك على البنات اللى بيتقصعوا يمين وشمال
- اتقى الله يا وليه احنا فى رمضان.
- أنا بقول كده برضه ..

وأطفأت التلفاز نهائياً .. فلم يصدر رد فعل من "أبو أحمد" غير أنه أخذ يجزعلى أسنانه ودفن وجهه فى الجريدة يصب بها غضبه .. وأنا لم أملك جريدة لأصب بها غضبى .. لذا .. بعد برهة قصيرة

أخذ "أبو أحمد" يشمشم بأنفه عن رائحة ما .. بدت من ملامح وجه المقلوب أنها سيئة جداً أو بالأحرى "مقرفة" .. فأشاح بوجهه عن الجريدة ونظر إلىّ متسائلاً عن الرائحة .. وفجأة صاح بوجهى :

- إنت عملت إيه ؟! .. إلحقى الواد عملها على الارض

"أم أحمد" فى صيحة أكثر قوة صافعة صدرها بكلتا يديها:

- يالهوى .. السجادة الجديدة

كنت قد بدأت أشعر براحة ممتعة إلا أن صيحاتهم دفعتنى لاختبىء منهم فى غرفة أخرى ...

لأستكمل راحتى الممتعة .. على سجادة أخرى ....

رجوع للفهرس

تسعيناتى ثانى

لم تكن البداية مريحة .. فى أول الأمر كدت اختنق من تكدسنا فى سيارة ميكروباص من الإنتاج المحلى "فخر صناعتنا" وكان الفخر يتسرب من موتور السيارة أسفل أرجلنا إلى أنوفنا مباشرة فنشيح بأنوفنا لأعلى فى شموخ ونلوح بأيدينا للحصول على مزيد من التهوية لزوم الحفاظ على حياتنا ..

- نهاية الخط يا أفندية

أعلنها السائق فيما تبقى من أنفاسه لتبادر "أم أحمد" بسحبى من السيارة المحترقة إلى شارع أكثر إحتراقاً فى هذا الوقت من العام بالرغم من هبوط الليل على وسط المدينة وقد تبقى على عيد الفطر يومان لا غير ...

- بابا .. بابا

- أيوة يا "أحمد"

- عايز كوتشى أميجو اللى بينور

يلتفت "أبو أحمد" لزوجته فى تساؤل عن طلب ابنه فتجذبه من ذراعه وتهمس بأذنه:

- هات الفلوس اللى معاك أشيلهم معايا أأمن .. فيه حرامية كتير النهاردة .

يتلفت "أبو أحمد" حوله فى توتر وهو يتشبث بمحفظته فى جيبه .. فيضطر للاستجابة لطلب زوجته ويعطيها المحفظة التى اختفت فى لحظة خاطفة داخل حقيبتها فانتقل ترمومتر التوتر تجاه زوجته وقد شعر أنها أوقعت به .. وحصلت على مبتغاها المنشود ..

أما أنا فوقفت أمام الفترينة الزجاج أطرق عليها فى طلب لهذه الألوان الزاهية التى تزين السلع .. فتسحبنى أمى كالعادة بعيداً عن أهدافى المغرية مرة تلو الأخرى حتى استقر بى المقام أمامها .. أمام فتاة تتألق فى زيها الوردى وتتمايل بين أيدى والدتها وهى تداعب فراشتها المعلقة على رأسها فى سعادة غامرة ..

- يالهوى البت .. سيب البت

ساد الهرج والمرج بين المارة وأخذ الجميع يحاول انتشالى من توكة الفراشة التى تشبثب بها فى رغبة عارمة .. ووسط بكاء الفتاة وصراخ أمها تم أخيراً انتشالى من شعر الفتاة .. والفراشة لاتزال فى يدى

صرخت بوجه أمى باكياً بعد أن إنتزعت من يدى التوكة لردها لصاحبتها .. فلم يستوقفنى إلا هذا الصوت

- كركركركركركركر

نظرت خلفى فوجدت قارورة من الزجاج تخرج فقاقيع هواء من الماء .. وهذا الجالس بجوارها ينتفخ صدره ويهبط على وتيرة الصوت

- كركركركركركركر

انشغل الجميع بكوتشى أميجو اللى بينور ولم يلاحظوا هذا الرجل الذى نهض عن كرسيه وغادر المكان تاركا العصا التى كان يلقمها بفمه على الكرسى .. فلم أتردد فى أن أتناولها وأتأملها و ..

ونفخت فى فتحة العصا .. فلم أرَ الفقاقيع المطلوبة .. ربما تحتاج إلى الكثير من النفخ .. لذا حاولت أن أشفط الكثير من الهواء بصدرى و..... وإذا بها ....

- كركركر

إنها تعمل .. إذن دليل الاستخدام أشفط .. لا تنفخ ..

- كركركركركركركركركر

انتشر الغيوم بالمكان أثر هذه الدخانة الكثيفة لمحت خلالها أمى تختطفنى من وسط الدخان وتصرخ فى ذعر .. لم يكن صراخها يزعجنى هذه المرة .. بل بعث فى نفسى المزيد من السعادة

- هاهاهاهاهاها

ضحكت لم أعرف لماذا ولكنى مبسوط لا محالة .. اقتادتنى أمى إلى إحدى الحمامات العمومية لتغسل وجهى بالماء وتعدل من طرحتها .. وبعد أن أغرقت وجهى بالماء .. تركتنى وفتحت حقيبتها لتخرج عطرها ومكياجها .. وأنا لا أتوقف عن الضحك من حين لآخر مما جعلها تضحك هى الأخرى .. يبدو أن العدوى قد أصابتها

دارت الدنيا برأسى لحظة فوجدت نفسى ملقى على وجهى داخل حقيبتها قبل أن أعتدل مرة اخرى إثر "الصوغطة" التى انطلقت من داخلى ..

عدنا إلى السوق مرة أخرى وبينما تفاصل أمى مع البائع ظل ولد غريب الهيئة يداعبنى عن بعد وهو يشير لى ويطالبنى أن أذهب إليه فلم أهتم كثيراً .. ونظرت لأمى وهى تتحدث الى "أبو أحمد" :

- كده الفلوس مش حتكفى .. هدوم "أحمد" و "آية" غالية .. ولسة مجبناش حاجة لـ"سعيد"

أبو أحمد فى ضيق :

- مش لازم "سعيد" .. ده لسة ميفهمش حاجة.

ينظرون جميعهم إلىّ يتأكدون من كونى لا أفهم شيئاً .. وأنا أراقب وجوههم فى قلق فتراجعت خطوة للوراء وقد عاودتنى نوبة الضحك مرة أخرى .. ونظرت إلى الولد الغريب وقد راقتنى مداعبته هذه المرة قبل أن يعقد أبى حاجبيه فى تساؤل :

- إيه اللى فى إيد "سعيد" ده ؟!

- يا خرابى .. دى المحفظة .. المحفظة

وهم "أبو أحمد" بالوثب نحوى إلا أننى تراجعت بخطواتى الصغيرة بسرعة .. فتعثرت قدما "أبو أحمد" بالرصيف لينبطح أرضاً فى مشهد لم أتمالك أمامه نفسى من هيستريا الضحك ..

ولوحت للولد الغريب بالمحفظة التى فى يدى .. الذى لم يلبث أن ركض نحوى و .. وخطف المحفظة .. وأطلق العنان لقدميه ..

وينهض "أبو أحمد" ليركض خلفه فى ذعر ..

وضحكتى البريئة المتقطعة لا تفارقنى ... رجوع للفهرس

تسعيناتى ثالث

- الله أكبر الله أكبر الله أكبر .. لا إله إلا الله .. الله أكبر الله أكبر .. ولله الحمد

ترددت تكبيرات العيد ونحن فى طريقنا إلى الساحة المقام بها فرحة العيد .. كدت أتعثر فى طريقى أكثر من مرة بسبب هذا الجلباب الضيق الذى عاقبنى به "أبو أحمد" .. الذى بدوره أخذ يشد على يدى وينظر لى من حين لآخر نظرات ترقب حذرة وتارة أخرى نظرات مرحة محاولاً إدخال السعادة على قلب طفل مثلى ..

- بقولك إيه .. خلى معاكى "سعيد" و "آية" فى مصلى السيدات وأنا حاخد معايا "أحمد"

- إزاى يعنى !! .. خلى معاك الصبيان وأنا معايا البت

- يا ستى هو "سعيد" يعنى حيكشف ستر الستات .. ده عيل صغير .. غير كده أنا مش حعرف اتعامل معاه لو عيط

- خلاص .. خلى معاك إنت "آية" أهى عيلة صغيرة .. مش حتعمل فتنة للرجالة

أخذ كل منهم يتبرأ من فلذة كبده إلى أن انتهت المفاوضات على أن اذهب أنا و"آية" مع "أم أحمد" التى تذمرت وهى تنظر إلىّ فى غيظ ..

- يا ختى كميلة .. إيه العثل ده

اصطدمت فى جارتنا "أم حموكشة" التى أخذت تدغدغنى قبل أن تتلقفنى على صدرها وتقبلنى قبلات جعلتنى أتأفف من رائحة فمها الكريه .. وقد أعطت "آية" نصيبها من الترحيب اللازم ..

- شوفتى الواد "حموكشة" إبنى .. كسر إمبارح لوح إزاز بالكورة وهو بيلعب فى الشارع والولية "أم بيسو" مسكته وإديته علقة بالشبشب .. بس أنا مسكتلهاش .. قومت .....

نظرت إليهما يتبادلان الحديث والضحكات والغمزات واللمزات .. وكان هذا الحال سائر على باقى النساء فى هذا الملتقى الثقافى المسمى بـ"اللت والعجن" .. إلا من رحم ربى

انتهت الصلاة وانتشر الجمع بعشوائية ورأيت "أحمد" يلعب بهذه السيارة التى أخذ يحركها بأزرار فى يده فأشرت لـ "أبو أحمد" لأحصل على مثلها .. فأخرج ما فى جيبه وأعطانى أنا وإخوتى كل منا ورقة مالية "العيدية" .. نظرت لرسومات الورقة فى غرابة ..

- ليس هذا ما رغبت الحصول عليه

أسررتها فى نفسى .. وقبضت على الورقة فى قوة وألقيتها لأبى متذمراً صارخاً مشيراً للعبة "أحمد" .. ومحاولة لإرضاء طمعى الزائد أبدلنى

أخى العزيز هذه البالونة المتطايرة بخيط .. تأملت البالونة المنتفخة وحاولت أن أكتشف ما بداخلها .. مما جعلنى تراجعت عنها حينما رأيت وجهى المنتفخ بها .. فأطلقت سراحها فهربت البالونة وكأنها انتهزت أخيراً هذه الفرصة .. وعدت أدراجى أصرخ طالباً هذه السيارة ..ولكن لا حياة لمن تنادى

تملكنى حزن وغضب من هؤلاء القوم .. هذا الطفل يلعب بما يسمى "يويو" وهذا يطلق ماء من مسدس صغير .. وهذه تدلل عروستها "باربى" .. كلهم سعداء إلا أنا.

- "سعيد" .. "سعيد" ... فين "سعيد" يا "أبو أحمد"؟

تلفت "أبو أحمد" حوله ينقب عن "سعيد" ويتفحص وجوه الأطفال من حوله ولكن بلا جدوى .. فأخذ يهتف بإسمه فى نبرة رجاء وندم وتشاركه "أم أحمد" بدموعها وكل منهما يحتضن "أحمد" و"آية" خوفاً عليهما من المصير المجهول الذى يتعرض له "سعيد" الآن .. وهم مثل الكفيف المظلم عينيه فى وضح النهار.

إنفض جمع المصلين بعد أن أضناهم تعاونهم فى البحث عن "سعيد" وظل الوالدان ينتظران يبحثان عن أمل العثور عليه .. على "سعيد"

- فيه طفل تايه عمره سنتين .. عند بداية الساحة مع شيخ المسجد.

لم يشعرا إلا بأنفسهما يلهثان أمام المنادى بمكبر الصوت الذى قابلهما بإبتسامة أشفاق رأفة لحالهما

- هو فين ؟ .. هح هح هح.. فين "سعيد" ؟

- خدوا نفسكوا متقلقوش .. هو هناك أهو ..

أشار إلى إحدى الأورجوحات الشعبية التى كان يستقلها "سعيد" بين أقرانه يتمتع بإهتزازها جيئة وذهاباً فى فرحة عارمة وأغنية العيد الشهيرة تطرب الآذان "أهلْلاً أهلاً بالعيد .. مرْحب مرحب بالعيد ....."

كان شبح الابتسامة المرهقة يتسلل لشفاه الأب والأم فى راحة وحنين لهذا المشهد .. فقد كان لـ"سعيد" عيده الخاص قرر فيه ألا يبدد منه لحظة واحدة فى رفقة القيود والمحاذير..

من ناحية أخرى كان لأخيه "أحمد" تساؤله الخاص عن أغنية العيد

- بابا .. هو مين "سعد نبيهة" ده ؟؟

رجوع للفهرس

تسعيناتى رابع

يالها من مشقة عظمى تلك التى عانى منها هؤلاء الفراعنة .. ليس فقط فى بناء هذا الصرح الهرمى العملاق .. وليس فى إنشاء حضارة مطموسة الأسرار .. بل تلك المعاناة التى عادت بالأحرى علينا نحن أحفاد الفراعنة .. لمجرد الرغبة فى مشاهدة أمجاد المصريين القدماء .. لتكون حصيلة مباراة الذهاب إن أذن الله لنا العودة .. التشابك بالألفاظ مع كمسرى الأوتوبيس الذى لم يبتلع لسانه لحظة ولم يتوقف عن النداء :

- هرم .. هرم .. هرم

وقد تعمد أن يتجاهل عمليات الهتك المنظمة من قبل جماهير الركاب لبعضهم البعض فى سلاسة وبلادة غريبة .. فلا مانع من كتف قانونى لا يخل بقانونيته أن يهشم ذلك الكتف رئتيك .. أو أن يتدلى ذراعك خلال ملابس أحدهم .. أو يشاركك آخر فى امتطاء حذائك .. كلها أوضاع تضفى عليها أجواء عيد الفطر المبارك بعضاً من الشرعية .. لا سيما أن هذه الشرعية كانت تضفى بظلالها على شهر رمضان الكريم !

ترجلنا من الحافلة إن جاز التعبير عن كلمة (ترجلنا) الاضطرارى ..

- بابا .. أنا جعانة وعايزة آكل

- حاضر يا حبيبتى ادينا وصلنا بالسلامة .. نتمشى بس للهرم وبعدين نقعد ناكل

- نتمشى ! .. احنا لسة حنتمشى .. دى لسة الأهرامات بعيدة

قالتها "آية" وهى تشير إلى الأهرامات الصامدة وكأنها تتحدى صمودنا للنهاية .. أما "أم أحمد" فقد لوحت بيدها ممتعضة :

- قلتلك ملهاش لازمة البهدلة .. أنت جايبنا صحرا نجوع ونعطش فيها.

- نعطش إيه يا ولية؟ .. إنتى جايبة معاكى فسيخ وتقوليلى نعطش! .. طبعاً لازم نعطش من الريحة على الأقل.

- ماله الفسيخ؟ .. أهو طلعنا من الفراعنة بحاجة بدل شوية الطوب اللى جايين نتفرج عليهم

- هما كان قصدهم يحنطوا السمك .. بس إحنا اللى فهمناهم غلط

كنت أتطلع إليهم من موقعى الصغير .. فأنا بالتأكيد أصغر كائن جاء إلى هذا المكان المقفر مع هذه الرائحة النفاثة المنبثقة من حقيبة متوسطة تحملها "أم أحمد" فى حرص شديد .. أدركت متأخراً أن هذه الرائحة هى

السبب فى إنفراد "أم أحمد" بمساحة كافية تكفلنا بوقفة صمت كريمة بالأوتوبيس .. رب ضارة نافعة

أخيراً وصلنا .. وأخيراً بُتر حبل العرق الغزير الذى كان يلاحقنا خلال طريقنا على هضبة الجيزة .. فما كانت تصمد قطرات العرق إلا لبضع خطوات نقطعها ويكون مصيرها الهلاك على صفحة الأرض الصخرية المتشققة من حرارة الشمس الضارية

جلسنا نفترش سفح الهرم ونتمسح بصخوره فى محاولة للتنقيب عن برودة ظل ما .. نعلم استحالة ظهور هذا الظل المزعوم أثناء تعامد أشعة الشمس على قمة الهرم وعلى مدرجات الهرم وعلى سفح الهرم وبالأحرى على رؤوسنا الهرمية .. فوضع كل منا شىء ما على هرمه ليتقى شر هذا التعامد الشمسى .. إلا أننى نصبت اهتمامى بالعدو والإنطلاق فى هذه المساحات الشاسعة متجاهلاً سقوطى المتكرر محاولاً اللحاق بوفد من السائحين أو اللحاق بهذه الجمال الأثرية

- بابا عايز أركب الجمل

كان يتمايل فى حركته المنتظمة وكأن لعنة الفراعنة أصابته بداء جلدى أشبه بالتسلخات جعلته حريصا فى حركته الروتينية .. وحريصا أيضاً على حمولته البيضاء الناعمة

لم يلقَ "أحمد" جواباُ على طلبه من والده فى إمتطاء الجمل .. فى هذه اللحظة فقد حاسة سمعه مؤقتا كطقوس مشاهدة السينما الصامتة .. فى حين أصابت حاسة البصر لديه نشاط ملحوظ .. وذلك بعدما إستولت تلك الجرمانية الشقراء القابعة فوق الكائن الصحراوى على باقى حواسه الحسية ..لاحظت "أم أحمد" نظراته الذكورية الشرهة لذلك الاحتلال الأنوثى الطاغى .. فوكزته فغض بصره متردداً .. وأناب

بعد برهة قصيرة ..

فاحت الرائحة .. وفاحت معها الأنوف تتقصى أثر الفسيخ الذى كُشف عنه أخيراً النقاب.. وتجمعنا فى دائرة نستعطش بهذه الوجبة .. قبل أن نستجدى التروية بالقليل من الماء .. وانتهينا من الملحمة .. ولم نكد ننهى هذا الحصار الفتاك حتى فوجئنا برهط من السائحين يرصدون فعلتنا الشنعاء ويلتقطونها بكاميراتهم كذكرى مذبحة الفسيخ على سفح الهرم المقدس.

كان صوت "أم احمد" كفيلاً ليتبعثر هذا الجمع فى الأفق .. وقد لملمت أوراق الجرائد وصنعت منها شكل كروى قبل أن تلقى بهذه الكرة عبر الفراغ لتستقر عند قدمى الجرمانية الشقراء

- نو نو .. بوت ايت ان جانك باكت

بلغة انجليزية ركيكة إلتقطت الجرمانية ذات الملابس الفاضحة الكرة الخاصة بـ "أم أحمد" طالبة إياها بوضعها فى كيس للفضلات

لم تتفهم "أم أحمد" بيت القصيد أول الأمر قبل أن يحثها زوجها على استلام كرة الفضلات من الجرمانية .. فعقدت حاجبيها فى غضب :

- أخد منها إيه ؟! .. دى زبالة

- دى زبالة برضه ؟! .. دى انضف حاجة شوفتها لحم ودم

- ركز معايا يا "أبو أحمد" .. أنا بتكلم على زبالة الفسيخ

- يا ستى النبى قبل الهدية

لم تنتظر الجرمانية نتيجة ذلك الجدال .. فقد أخرجت كيس صغير من البلاستيك ووضعت به الكرة وهى تناولها لـ "سعيد" .. وأشارت له على ورقة أخرى ملقاة على الأرض ليضعها فى كيس القمامة.

راق الأمر لى .. فبحثت حولى على بقايا إضافية من فضلات السادة أحفاد الفراعنة .. ولم أجد مشقة فى ذلك .. فقد كان الخير وفير .. أصبح من ضمن أنشطة يومى لعب الكرة ومطاردة جمل أو حصان أو أحد أقرانى من الأطفال فى شغف .. لا سيما متابعتى لإلتقاط الأوراق ووضعها فى كيس الجرمانية الذى ما زالت اعتصره بين يدى كهدية هذا العيد.

أخيراً لازت الشمس بالفرار خلف الافق .. وحان وقت فرارنا إلى مدينتنا المتحضرة .. لحقنا بإحدى الأوتوبيسات الفارغة فى مباراة العودة .. وجلسنا يتغمدنا الإرهاق ويداعبنا النوم .. قتل جمع من الناس هذا الفراغ بأجسادهم وكأنهم على قلب رجل واحد .. لا يتفرقون مهما تحرك الأوتوبيس أو توقفت الكرة الأرضية فجأة عن الدوران .. وذلك مثال بسيط على اللُحمة الوطنية الواحدة الذى يتمتع به هذا الشعب.

كان أحدهم يتناول قطعة من البسكويت المغلفة .. كنت أراقبه جيداً .. ما زال كيس الجرمانية يقبع بين أصابعى .. استشعر الرجل لوهلة إننى أطمع فى قطعة من البسكويت .. إلا أننى محوت هذه الفكرة من رأسه برفضى العنيد .. انتهى الرجل أخيراً من تفريغ محتويات العبوة فى فمه الكبير .. ثم كرمش الورقة السلوفان بيده وألقاها من النافذة.

هنا لم اتمالك نفسى .. فهتفت له أنهاه عن تلك الفعلة بلغتى الخاصة التى بالطبع لم يفهمها أحدهم يوماً .. فنظر لى الرجل فى تساؤل عما أرغب فى قوله .. ولكنه فشل فى فك شفراتى واكتفى بأن يبتسم فى بلاهة قبل ان يمد يده ليداعب ذقنى.

- اه .. اه .. إلحق يا أخينا ابنك بيعضنى

- "سعيد" فيه إيه يا "سعيد"؟ .. الراجل ده عملك ايه ؟

أخذا أبى وأمى يصرخان ويدفعان الرجل لردئه عنى .. ونهضا "أحمد" و"آية" بدورهما من مقامهما يكيلا اللكمات والشتائم للرجل.

وما زالت أصابعه تتلوى من الألم

بين براثنى الحادة

رجوع للفهرس

السيرة الذاتية للكاتب

سامح على عبد المجيد السيد

مواليد 1979/11/1 - 35عاماً

2شارع ريتش هوم الهانوفيل العجمى اسكندرية

01206711841-01063944416

034359078

Same73li@yahoo.com

https://www.facebook.com/same73li

المجموعة القصصية الأولى

إذن هى الحرب

رجوع للفهرس

كان أحدهم يتناول قطعة من
البسكويت المغلفة .. كنت أراقبه
جيداً .. ما زال كيس الجرمانية يقبع
بين أصابعى .. استشعر الرجل
لوهلة إننى أطمع فى قطعة من
البسكويت .. إلا أننى محوت هذه
الفكرة من رأسه برفضى العنيد ..
انتهى الرجل أخيراً من تفريغ
محتويات العبوة فى فمه الكبير ..
ثم كرمش الورقة السلوفان بيده
وألقاها من النافذة.